جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

اتحـــــــاد طـــرفى الجمـــلة
بين السياق والدلالة

الدكتور
رفعت على محمد
الأستاذ المساعد بقسم البلاغة والنقد

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لله ، وصلاة وسلاماً على سيدنا رسول الله ، وعلى آله وصحبه وبعد

فإن اللغة العربية تمتاز من بين اللغات – جميعها – بسلامة صيغها ومبانيها وغزارة أساليبها وتراكيبها ، وتدفق معانيها ومضامينها ، وتنوع إيحاءاتها وإشعاعاتها.

وقد زخرت المكتبة العربية بالكثير من الدراسات التى تعنى بكل ناحية من هذه النواحى اللغوية الشائقة .

وكان من بين تلك الأساليب التى وقف عندها علماء اللغة ، تلك التى اتحد فيها طرفا الإسناد ؛ لأنها جاءت على غير المألوف عندهم ، وعلى غير القواعد التى تقررت لديهم ، مع أنها تفيض بالكثير من الملاحة والحسن ، لما تزخر به من إبلاغ فى الوصف ، وتدفق فى المعنى ، وغزارة فى الشعور ، وإيجاز فى الأداء اللغوى .

فهو موضع من البلاغة تتكاثر محاسنه ، وتتعدد طرائفه ، وتتنوع أساليبه وطرائقه ، وتكثر سياقاته ودلالاته .

ولم يقف علماء البلاغة – عند هذا الأسلوب – بالدرس والتحليل بل وجدنا ومضات خافتة ، ولمحات وامضة ، وإشارات عابرة ، عند المفسرين ، وشراح الحديث ، والنقاد ... ويأتى فى مقدمتهم الآمدى ، الذى تناول هذا الأسلوب عند موازنته بين الطائيين فى استعمالهما هذا الأسلوب ، ومدى مواءمته للأسس التى وضعها العلماء لعمود الشعر ... وذلك من خلال قول أبى تمام :

لا أنت أنت ولا الديار ديار خف الهوى وتولت الأوطار

وسوف يكون للبحث وقفة هادئة عند رؤية أبى تمام ونظرته لهذه الأساليب وهكذا وجدنا أن هذا النوع من التراكيب التى اتحد فيه طرفا الإسناد لم يظفر بدراسة بلاغية مستقلة ، مع أنه يحمل من الإيجاز فى العبارة والإبلاغ فى الوصف ، والتدفق فى الشعور ، والغزارة فى المعنى ، ما لا يقل قليله .

لذا أردت أن أقف عند هذا النوع من الأساليب، أرصد سياقاته وما وراءه من بلاغة عالية، وإحساس متدفق، وملائمة للسياق الوارد فيه.

وقد قدمت لهذه الدراسة بتوطئة ، بينت فيها حكم اتحاد طرفى الجملة عند اللغويين ، وأن هذا الاستعمال يمثل صورة من صور العدول فى اللغة ، لما تقرر عند علماء اللغة ، من وجوب تغاير طرفى الإسناد حتى تتأتى الفائدة .

ثم كان من هم الدراسة رصد السياقات التى جاءت من خلال هذا الأسلوب وتحليل هذه الشواهد ، وبيان بلاغتها على غيرها من الأساليب ، ولم أوثر عليها ؟ مع الإشارة إلى مناسبة هذا الأسلوب لسياقه ، وكيف اختلف – صياغة وبناء – فى كل سياق عن غيره .

ولابد من الإشارة إلى أن غرض هذه الدراسة هى الإلماح إلى موطن الجمال فى هذا الأسلوب ، وكيف أنه لا يسد غيره فى موضعه ، وبيان أسراره ودقائقه ، دون أن يكون من هم الدراسة استقصاء شواهده ونماذجه .

هذا ونسأل الله العصمة من الزلل ، والتوفيق لما هو أقرب لرضاه من القول والعمل

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباحث

توطئه

اتحاد طرفى الجملة

إذا كان الإسناد فى أوضح معانيه هو ضم كلمة إلى أخرى على وجه يفيد إثبات مفهوم إحداهما للأخرى أو نفيه عنها .

فإن ذلك الإثبات أو النفى يقتضى تغاير طرفى الإسناد حتى تتأتى الإفادة ، فإن حمل الشئ على نفسه ، أو إسناده لنفسه لا يفيد ، إذاً فلابد من التغاير بين المبتدأ والخبر لإفادة معنى فى الجملة .

فحينما نقول مثلاً : الصدق منج ، أسندت كلمة " منج " إلى " الصدق " على وجه أفاد إثبات مفهوم الإنجاء إلى الصدق .

أما إذا قلت : زيد زيد فهذا ليس إسناداً صحيحاً ، لأنه ليس فى الخبر إلا ما فى المبتدأ من معنى ، والذى عليه – أهل اللغة – أنه لابد أن يستفاد من الخبر معنى جديداً ليس فى المبتدأ .

وبناءً على هذه القاعدة لم يجيزوا قولهم : ناكح الجارية واطئها ، ولا رب الجارية مالكها ... لعدم إفادة الخبر معنى أكثر مما تضمن المبتدأ.

يقول ابن جنى :

ومن المحال قولك أحق الناس بمال أبيه ابنه ، وذلك أنك إذا ذكرت الأبوة فقد انطوت على البنوة ، فكأنك إذاً إنما قلت : أحق الناس بمال أبيه أحق الناس بمال أبيه ، فجرى ذلك مجرى قولك : زيد زيد ، والقائم القائم ، ونحو ذلك مما ليس فى الجزء الثانى منه إلا ما فى الجزء الأول ألبتة ، وليس على ذلك عقد الإخبار ، لأنه يجب أن يستفاد من الجزء الثانى ما ليس مستفاداً من الجزء الأول ، ولذلك لم يجيزوا : ناكح الجارية واطئها ، ولا رب الجارية مالكها ؛ لأن الجزء الأول مستوف لما انطوى عليه الثانى " [١] .

---

(١) الخصائص ٣٣٦/٣ لابن جنى ت / محمد على النجار طبعة ثانية .

ثم أورد فيلسوف اللغة نماذج من النظم العالى لما ورد فيه اتحاد طرفى الجملة عدولاً عن الأصل الذى لا يصار إليه إلا لمغزى بلاغى ، وسر كامن وراء هذا الأسلوب .

ثم يؤكد خطأ هذا التعبير ، ويبين الصواب فيه بقوله : ولكن صحة المسألة أن تقول أحق الناس بمال أبيه أبرهم به ، وأقومهم بحقوقه ، فتزيد فى الثانى ما ليس موجوداً فى الأول(١) .

وقد حكم ابن يعيش على مثل هذا الأسلوب الذى اتخذ فيه الطرفان بالفساد ، لأنه لم يضف معنى جديداً ، ولأنه " قد اتحد الخبر والمخبر عنه لفظاً ومعنىً ، وحكم الخبر أن يكون فيه من الفائدة ما ليس فى المبتدأ " (٢) .

وما يجرى على المبتدأ والخبر من حكم ، يجرى كذلك على السبب والمسبب ، أو على الشرط والجزاء ، فلا يجوز اتحادهما لفظاً ومعنى ، فلا يصح : من صدقنى فقد صدقنى ، أو من أكرمنى فقد أكرمنى ... كل ذلك غير جائز عند أهل اللغة .

جاء فى همع الهوامع " وشرط الجواب الإفادة ، فلا يكون بما لا يفيد – كخبر المبتدأ – فلا يجوز : إن يقم زيد يقم ، كما لا يجوز فى الابتداء : زيد زيد " (٣)

ويرى الشيخ عبدالقاهر أن الشرط والجزاء فى حكم جملة واحدة ، من حيث دخل فى الكلام معنى يربط إحداهما بالأخرى ، حتى صارت الجملة لذلك بمنزلة الاسم المفرد فى امتناع أن تحصل به الفائدة ، فلو قلت : " إن تأتنى " وسكت ، لم تفد ، كما لا تفيد إذا قلت : " زيد " وسكت فلم تذكر اسماً آخر ولا فعلاً ، ولا كان منوياً فى النفس معلوماً من دليل الحال (٤)

---

(١) الخصائص ٣٣٨/٣ لابن جنى ت / محمد على النجار طبعة ثانية

(٢) شرح المفصل ٩٨/١-٩٩ .

(٣) همع الهوامع ٢-٥٩ للسيوطى .

(٤) أسرار البلاغة ، ص : ١١١ .

بناء عليه رد العلماء كل تخريج نحوى يفهم منه اتحـــاد الطـــرفين ، دون أن يدخله معنى يخرجه للإفادة ..... مثل ما ذهب إليه صاحب " الدر اللقيط " من رفضه إعراب " ظنكم بربكم " خبراً فى قوله تعالى " وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكـــم ... " فصلت /٢٣ على ما ذهب إليه الزمخشرى وغيره من المفسرين ، لأن قولـــه " ذلكم " إشارة إلى ظنهم السابق فيصير التقدير : وظنكم بأن ربكم لا يعلم ظنكم بربكم فاستفيد من الخبر ما استفيد من المبتدأ وهذا لا يجوز ، وصار نظير : ما منعه النحاة من قولك : سيد الجارية مالكها " [١]

واستبعد أبو حيان إعراب " فيسخرون " خبراً فى قوله تعالى (الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون مـــنهم " التوبة /٧٩.

قال : لأن الخبر كأنه مفهوم من المبـــتدأ فمن عاب وغمز أحداً هو ساخر منه ، فقرب أن يكون مثل : سيد الجارية مالكها وهو لا يجوز[٢] .

العدول عن الأصل:

تقرر عند علماء العربية أن المبتدأ والخبر ، والشـــرط والجـــزاء لابـــد وأن يتغايرا ، فلا يسوغ اتحادهما فى اللفظ والمعنى ، لأن ذلك من قبيل اللغو والحكم على الشئ بنفسه .

ولكن قد يأتى فى النظم العالى ما يخالف هذا الأصل المتفق عليه عند علمـــاء اللغة ، وهذا العدول يدل على ثراء اللغة وحيويتها ، إذ لابد من أن تنضـــوى تحتـــه دلالات إعجازية ، وأسرار بيانية ، ولمحات فنية جمالية .

---

(١) الدر اللقيط من البحر المحيط ٤٩٣/٧.، تاج الدين الحنفى ، وينظر : الكشاف ٤٥١/٣ ، والمحرر الوجيز ١٧٧/١٤.

(٢) البحر المحيط ٧٦/٥ ، والدر المصون ٤٨٦/٣.

وقد قرر ابن جنى أن الأديب قد يغرب فى بيانه ، ويرتكب بعض الضرورات للإشعار بقوة بيانه وتملكه ناصية اللغة ، وأن ذلك لا يدل على ضعف منه ، بل على فرط ثقته بنفسه (١).

كما أنهم بهذا العدول يمتهدون لألسنتنا أساليب وطرائق وسنناً نلجأ إليها حين نضطر لذلك ، وكأنهم يوسعون دائرة الجواز ، ويضيقون دائرة الممتنع ويبسطون من دائرة الصواب ما اتسع ، إزالة للحرج حتى تتسع مناهج القول أمام كل ذى بيان (٢).

ومن صور هذا العدول اتحاد المبتدأ والخبر، والشرط والجـزاء ، وذلـك إن دخله معنى يخرجه للإفادة .

وذلك كما تقول الناس الناس ، أى هـم على ما عهد فيهم ، ومثل ذلك قولهم : الحر لا يكون إلا حراً ، والرجل لا يكون إلا رجلاً ، والعبد لا يكون إلا عبداً ، ونحو هذا يضربونه عند تقصير الإنسان عن بعض ما يلحق له ، أو تعاطيه ما لا ينبغى له.

ومن ذلك قول الشاعر :

فقلت له تجنب كل شئ يعاب عليك إن الحر حر

يقول المبرد : قوله : الحر حر ، إنما تأويله أن الحر علـى الأخـلاق التـى عهدت فى الأحرار ، ومثل ذلك قوله عز وجل ... فغشيهم من اليم ما غشـيهم " (٣) طه /٧٨

وهكذا فى كل تعبير جاء فيه اتحاد بين المبتدأ والخبر ، أو الشرط والجـزاء تجد فيه إبلاغاً فى الوصف ، وإيغالاً فى إثبات الصفة ، وكأن المتكلم لم يجـد لفظـاً يعبر به عن هذا المعنى سواه ، ولا يمكن الإخبار عنه إلا بنفسه .

ومن هنا استحسن النقاد مثل هذه التعبيرات واستجادوها وعدوها من التعبيرات الرائقة النادرة ، لما فيها من دفقات شعورية عالية ، ولمحات بيانية غالية ، ومن ثـم

---

(١) ينظر الخصائص ٣٢٩/٢ .

(٢) مراجعات فى الدرس البلاغى صـ ١٣١ د/ محمد أبو موسى .

(٣) ينظر الكامل فى اللغة والأدب ٢٧/١-٢٨ .

وجدناها تشيع فى النظم العالى فى مواطن الإبلاغ فى الوصف ، وفى مقامات تتطلب مبالغة وتأكيداً .

وسوف نستعرض أهم السياقات التى ورد فيها مثل هذا الأسلوب ، وكيف تـــم توظيفه فى خدمة المقام ، بحيث جاء قاراً فى مقامه ، ملائماً لسياقه ، لا يسد غيـــره مسده ، وكيف إنه موضع من البلاغة تتكاثر محاسنه ، وتتعدد طرائفه .

فى سياق طلاقة الجزاء

علم مما سبق أن اتحاد طرفى الجملة أسلوب بيانى لا يلجأ إليه المتكلم إلا حينما يريد أن يغرق فى الوصف ، ويبالغ فى إثبات الصفة ، وكأنه لم يجد وصفاً يخبر به عن هذا المعنى ، فأخبر عنه بنفسه ، فهو مقام لا يزيده الوصف شيئاً .

ولعل فى هذا الأسلوب ما يناسب سياق الجزاء حينما يراد المبالغة فيه ثواباً أو عقاباً ، وعطاءً أو منعاً ، إكراماً أو إهانة ، لذا وجدنا هذا الأسلوب يكثر فى هذا السياق ، وهذا رصد لمثل جاءت من خلال هذا الأسلوب البيانى الشائق فى سياق الجزاء .

قال تعالى : " والسابقون السابقون . أولئك المقربون فى جنات النعيم " الواقعة ١٠-١٢

وردت الآية فى سياق الحديث عن القيامة وأهوالها ، وتفصيل مصائر وأصناف البشر ، السابقين ، وأصحاب اليمين ، وأصحاب الشمال ، وتصف ما يلقون من جزاء وصفاً دقيقاً محساً وكأنه مشاهد للعيان .

والنظم القرآنى أراد أن يبالغ فى وصف جزاء هؤلاء الصنف من الناس فذكرهم بوصفهم (السابقون السابقون) كأنما ليقول هم هم ، فهو مقام لا يزيده الوصف شيئاً ... فهو كما تقول : أنت أنت ، عند إرادة تفخيم الأمر وتعظيمه ... فهؤلاء السابقون لا يمكن الإخبار عنهم إلا بنفسهم فإن حالهم وما هم عليه فوق أن يحيط به علم البشر ، فإذا أراد السامع أن يتصور صفاتهم فعليه أن يتدبر حالهم .

وعلى هذا التأويل تكون الجملة مكونة من مبتدأ وخبر ، على حد قولك : زيد زيد – يريد السابقون السابقون من عرفت حالهم ، وبلغك وصفهم وهذا الوجه الإعرابى أحد أوجه ثلاثة ذكرها العلماء فى هذه الآية : والوجه الثانى : أنه من باب التوكيد اللفظى ، ويكون الخبر قوله : أولئك المقربون .

والثالث : أن يكون الأول غير الثانى ، ويكون المعنى ، السابقون فى الدنيا إلى الخيرات هم السابقون يوم القيامة إلى الجنات ، والسابقون إلى الإيمان هم السابقون إلى الجنان [١]

والوجه الأول هو الأرجح والأقرب للصواب ، لما يلى :

١- لأنه الوجه الذى اختاره ورجحه أئمة التفسير ، وأقطاب اللغة فقد اختاره الزمخشرى [٢] ، والفخر الرازى ، وقال : إنه الأعدل الأصح [٣] ، ورجحه ابن عطية وقال : إنه مذهب سيبويه [٤].

٢- أنه الوجه الأقعد بالفصاحة ، والأنسب للسياق ، والأبر بالمقام .

أما إنه أقعد بالفصاحة فلما سبق من أن هذا الأسلوب الذى يتحد فيه المسند والمسند إليه إنما يصار إليه عند إرادة الإبلاغ فى الوصف ، وإعلاء شأن المسند إليه ، وإرادة تفخيمه وتعظيمه ، لشهرة أمره وكأنه لا حاجة إلى الإخبار عنه بلفظ آخر .... وذلك كما تقول : شعرى شعرى ... أى شعرى ما انتهى إليك وسمعت بفصاحته ... وهكذا فالنظم القرآنى من خلال اتحاد طرفى الجملة أبلغ فى الدلالة على رفعة هؤلاء القوم ، وكأن المتكلم لا يجد خبراً يخبر به عنهم ، أبلغ فى وصفهم وأدل على سمو مكانتهم من هذا الاسم " السابقون " .

أما القول بالرأى الآخر فيلزم منه فوات المبالغة السابقة فيه ، مع أن السابقين أحق بالمدح والتعجيب .

---

(١) تنظر هذه الأوجه الإعرابية فى : المحرر الوجيز ٣٥٩/١٥ ، وأمالى ابن الشجرى ١٠٢/١ ت محمود محمد طناحى ، والبحر المحيط ٢٠٥/٨ ، وإملاء ما من به الرحمن ١٣٣/٢.

(٢) الكشاف ٥٢/١ .

(٣)التفسير الكبير ١٤٦/٢٩ .

(٤) المحرر الوجيز ٣٥٩/١٥ .

إما إنه أنسب للسياق وأبر بالمقام ... فإن الأسلوب جاء فى سياق الصنف الأسمى ، والأكثر عراقة فى الفضل .. ، وتآزرت أساليب بيانية عدة لإظهار هذا السمو ، ولبيان هذا الفضل ... منها ...

– وصفهم بالسبق ، الذى يقتضى أنهم سابقون أمثالهم من المحسنين فالناس لا يتسابقون إلا لنوال نفيس مرغوب لكل الناس ، وأما الشر والضر فهم يتكعكعون عنه. وحقيقة السبق: وصول أحد مكاناً قبل وصول الآخر، وهو هنا مستعمل على سبيل الاستعارة (١)

فاشتقاق وصفهم من السبق دلالة على بلوغهم أقصى ما يتصور من الفضل والسمو.

– المغايرة فى الأسلوب الخبرى والإنشائى بين هذا الصنف وسابقيه ، وهم أصحاب الميمنة ، وأصحاب المشئمة .

حيث عبر عنهما بالاستفهام ، بينما جاء التعبير عن السابقين بالأسلوب الخبرى فلم يقل هنا (والسابقون ما السابقون) كما ذكر فى الصنفين السابقين .

والغرض من هذا على ما يذكر الرازى : أن الاستفهام الذى للإعجاز يورد على مدعى العلم ، بخلاف من يعترف بالجهل ، ففى جملة (والسابقون ...) ما جعلهم بحيث يدعون ، فيورد عليهم الاستفهام ، بل بنى الأمر على أنهم معترفون فى الابتداء بالعجز ...

إذن فمآل الجمل الثلاث هو التعجيب من حالهم وطريقه هو الكناية ، ولكن بين الكنايتين فرقاً بأن إحداهما كانت من طريق السؤال عن الوصف ، والأخرى من طريق تعذر التعبير بغير ذلك الوصف .... فهذا الخبر أبلغ فى الدلالة على شرف قدرهم من الإخبار ب (ما) الاستفهامية التعجبية فى قوله (ما أصحاب الميمنة) (٢).

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير ٢٨٦/٢٧ .

(٢) ينظر : التفسير الكبير ١٤٥/٢٩ ، البحر المحيط ٢٠٥/٨ ، وحاشية الشهاب ١٤٢/٨ التحرير والتنوير ٢٨٧/٢٧ .

– حذف متعلق (السابقون) فى الآية ، لقصد جعل هذا الوصف كاللقب لهم ، فضلاً عن إفادته العموم والشمول ، فهم يسبقون إلى كل خير ، و يحرزون كل فضل يمكن أن ينال .

– أخر ذكر هذا الصنف للتشويق والإثارة ، ترغيباً فى الاقتداء بهم ، والتشويق والإثارة من المقاصد البلاغية المؤمة ، لما لها من أثر حسن فى نفس السامع .

– ثم سبق بسط حال السابقين بقوله (أولئك المقربون ...) مراعاة للأهم بالنسبة لغيره من الصنفين الآخرين .

وقد جمع بين اسم الإشارة المشار به إلى معروف ، وبين الإخبار عنه بقوله (المقربون) المعرف بالألف واللام العهدية .

والتعبير باسم الإشارة يؤكد تميز هذا الصنف عن غيره ، فهو يفيد أن ما يرد بعده ، فالمشار إليه جدير به ، فهؤلاء السابقون جديرون بمقام القرب من الله وبما يذكر بعده من فضائل ، وإن كانت كلها لا تساوى ذلك الفضل ، ولا تقارن بهذا المقام.

يقول الخطيب فى حديثه عن أغراض التعريف بالإشارة :

وإما للتنبيه – إذ ذكر قبل المسند إليه مذكور وعقب بأوصاف – على أن ما يرد بعد اسم الإشارة المذكور جدير باكتسابه من أجل تلك الأوصاف [١].

– قصر القرب على السابقين قصراً مجازياً ، لأن غيرهم كالملائكة أثبت لهم القرب وكذلك أصحاب الميمنة ، ولكن النظم القرآنى – هنا – لم يعتد بقرب غيرهم ، لأن سياق الآية فى التنوية بشأن هؤلاء القوم وتعظيم منزلتهم ، لذا كان القرب من الله مقصوراً عليهم ، لأن قرب غيرهم لا يعتد به فى هذا المقام .

يقول الرازى : فإن قيل : فأصحاب الميمنة ليسوا من المقربين ، نقول : للتقريب درجات ، والسابقون فى غاية القرب ... ولا حد هناك . [١]

---

(١) الإيضاح مع البغية ٨٥/١ ت الشيخ عبدالمتعال الصعيدى

– التعبير بصيغة اسم المفعول فى (المقربون) ولم يقل (أولئك المتقربون) لدلالة الأولى على اصطفاء الله لهم ، دون الثانية على نسق (إنه من عبادنا المخلصين) يوسف /٢٤ ، جاء فى روح البيان لأنهم بتقريب الله سبقوا ، لا بتقريب أنفسهم ففيه إشارة إلى الفضل العظيم فى حق هؤلاء [٢] .

– حذف متعلق المقربون لظهور أنه مقرب من الله ، أى من إنعامه وتفضيله وكذلك ، لم يذكر زمان التقريب ، ولا مكانه لقصد تعميم الأزمان والبقاع الاعتبارية فى الدنيا والآخرة [٣] .

و مجئ (فى جنات النعيم) بعد وصف المقربون يشير إلى أن مضمونه من آثار التقريب المذكور [٤] .

وبعد أن ذكر النعيم الأكبر – نعيم القرب – استطرد النظم القرآنى فى بيان قدرهم عند ربهم ، وتفضيل ما أعده من الثواب والنعيم لهم .

ولكن النظم القرآنى يعترض بين هذا وذاك بقوله تعالى (ثلة من الأولين وقليل من الآخرين) وهو اعتراض يتآزر مع ما سبق من أساليب بيانية ، فى الإعلاء من الوصف ، والإيغال فى المدح ، الذى تولد من اتحاد طرفى الجملة .

فهذا الاعتراض ، يقصد منه التنويه بصنف السابقين وتفضيلهم بطريق الكناية عن ذلك بلفظى (ثلة) (وقليل) المشعرين بأنهم قل من كثر ، فيستلزم ذلك أنهم صنف عزيز نفيس ، لما عهد فى العرف من قلة الأشياء النفيسة [٥] .

وهكذا تعانقت كل هذه الأساليب البيانية ، مع مجئ طرفى الجملة متحدين لكى تعلى من شأن هؤلاء القوم وترفع من قدرهم .

---

(١) التفسير الكبير ١٤٦/٢٩.

(٢) روح البيان ٣١٨/٩ .

(٣) التحرير والتنوير ٢٨٨/٢٧.

(٤)السابق نفسه .

(٥) التحرير والتنوير ٢٨٩/٢٧ .

وبهذا يكون هذا الوجه البيانى أولى من غيره من التأويلات التى ذهب إليها بعضهم فى تفسير هذه الآية الكريمة .

ومن شواهد هذا الأسلوب فى السياق نفسه قوله تعالى :

(ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً) الفرقان / ٧١

والآية فى سياق صفات عباد الرحمن ، وهم صنف من المصطفين الأخيار ، يمثلون الصنف الأرقى من البشرية ، والخلاصة الطيبة من الإنسانية .

وفى هذه الآية يصف توبتهم وأوبتهم ، وإقلاعهم عن المعاصى .. وقد وقع الإخبار عن التائب – فى الآية – بأنه تائب ، ومن المقرر عند أهل اللغة أنه إذا وقع الإخبار عن شئ أو توصيف له أو حالة منه ، بمرادف لما سبق مثله فى المعنى ، دون زيادة ، تعين أن يكون الخبر الثانى مستعملاً فى شئ من لوازم معنى الإخبار يبينه المقام ... كما سبق تقرير ذلك من كلامهم .

وههنا أخبر عن التائب بأنه تائب ، لأن المتاب مصدر ميمى بمعنى التوبة فيكون اتحاد الطرفين هنا للإبلاغ فى حسن جزاء هؤلاء القوم الذين ذكر صفاتهم المميزة لهم ، وسماتهم الخاصة ، فتوبتهم هى التوبة المرضية المثمرة ، المقبولة النصوح ، التى لا يمكن أن تعرف ولا أن توسم بأكثر من هذا الاسم ؛ الذى يدل على أنها توبة مرضية لله ، مكفرة للذنوب ، محصلة للثواب العظيم .

وقد تأول العلماء سر اتحاد طرفى الجملة فى هذه الآية على هذه الأوجه :

– أن يكون المقصود هو قوله (إلى الله) فيكون كناية عن عظيم ثوابه .

– أو أن يكون المقصود ما فى المضارع من الدلالة على التجدد ، أى فإنه يستمر على توبته ، ولا يرتد على عقبيه ، فيكون وعداً من الله تعالى أن يثبته على القول الثابت إذا كان قد تاب وأيد توبته بالعمل الصالح .

– ويجوز أن يكون المقصود ما للمفعول المطلق من معنى التأكيد ، أى من تاب وعمل صالحاً فإن توبته هى التوبة الكاملة الخالصة ، وعلى حد قول النبى – صلى

الله عليه وسلم – إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل إمرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه " [١] فيكون كقوله تعالى " يا أيها الذي آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً " [٢]. التحريم / ٨

وبهذا يكون اتحاد طرفى الجملة قد تعانق مع هذه الأساليب البيانية التى تدل على سمو توبة هؤلاء القوم ، وأنها توبة خاصة لا كتوبة غيرهم من سائر البشر ، فهى توبة مرضية مثمرة مقبولة لا نكوص فيها ولا ارتداد ولهذا :

– أكدت الجملة ب (إن) لتحقيق مضمون الخبر ، وقيدت بكونها (إلى الله) تعظيماً لأمر التوبة ، وإشعاراً بتعظيم ثوابه ، وعبر بالمضارع (يتوب) للدلالة على التجدد ، وأكد بالمصدر (متاباً) دلالة على أنها توبة كاملة خالصة .

يقول ابن عطية :

أكد بهذه الألفاظ أمر التوبة والمعنى : ومن تاب فإنه قد تمسك بأمر وثيق هكذا ، كما تقول لمن تستحسن قوله فى أمره : لقد قلت يا فلان قولاً ، فكذلك الآية معناها : مدح المتاب كأنه قال : فإنه يجد باباً للفرج والمغفرة عظيماً [٣] .

ومدح التوبة بهذا الأسلوب البيانى الذى يستعمل عند إرادة الإبلاغ فى الوصف ، يتلاءم مع سياق الآية التى تصف صنفاً خاصاً من الناس ، فلابد أن تكون توبتهم كذلك ، توبة خاصة ليست كتوبة سواهم ، بل هى توبة نصوح لا ارتداد فيها ولا نكوص ، ولهذا كان هو الموضع الوحيد فى القرآن الذى ذكر فيه الفعل ومصدره : (وعمل عملاً صالحاً ... يتوب إلى الله متاباً)

والذى ذكر فيه الجزاء على هذه الصورة (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً)

---

(١) رواه البخارى ، كتاب كيف كان بدء الوحى إلى رسول صلى الله عليه وسلم .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير ٧٨/١٩ .

(٣) المحرر الوجيز ٤٣/١٢ وينظر التفسير الكبير ٢٤ /١١٣ .

إشعاراً بأنها توبة خاصة خالصة ، فلابد أن يكون جزاؤها خاصاً خالصاً كذلك ... وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان .

ومن مجئ هذا الأسلوب فى سياق الجزاء قوله تعالى :

(وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) المائدة/٦٧

والآية تأديب – للنبى – صلى الله عليه وسلم ، وتأديب لحملة العلم ألا يكتموا شيئاً من أمر شريعته ، وقد علم الله من أمر نبيه – صلى الله عليه وسلم – أنه لا يكتم شيئاً ... كيف وقد نزل فى حقه – صلى الله عليه وسلم – (وما هو على الغيب بضنين) التكوير/ ٢٤ .

ومجئ طرفى الجملة هنا متحدين يفيد المبالغة فى الوعيد ، على فرض وقوع الشرط .

فالمعنى على : إن لم تبلغ رسالته فما بلغت رسالته ... وقد تقرر إنه لا إشكال فى اتحاد الشرط والجزاء إذا فهم منه معنى جديد ، أو أريد منه الإبلاغ فى الوصف ... فأى فائدة من اتحاد طرفى الجملة فى هذه الآية ؟

أجاب بعضهم بأن المراد: إنك لم تبلغ واحداً منها كنت كمن لم يبلغ شيئاً منها ...

قال الرازى : وهذا ضعيف ، لأن من أتى بالبعض وترك البعض ، لو قيل : إنه ترك الكل لكان كذباً ، ولو قيل أيضاً : إن مقدار الجرم فى ترك البعض مثل مقدار الجرم فى ترك الكل فهذا أيضاً محال ممتنع ... (١)

ورجح الرازى أن يكون وراء ذلك الاتحاد بين الشرط والجزاء ، إبلاغ فى الوصف ، ومبالغة فى التهديد والوعيد على ترك البلاغ ، بحيث لا يكون تهديد أبلغ ، ولا وعيد أشد من ترك البلاغ .

---

(١) التفسير الكبير ٤٨/١٢ .

فالآية خرجت على قاعدة " أنا أبو النجم وشعرى شعرى " ومعناه : إن شعرى قد بلغ فى الكمال والفصاحة إلى حيث متى قيل فيه : إنه شعرى فقد انتهى مدحه إلى الغاية التى لا يمكن أن يزاد عليها ، فهذا الكلام يفيد المبالغة التامة من هذا الوجه فكذا هنا ، فإن لم تبلغ رسالته فما بلغت رسالته ، ما يعنى أنه لا يمكن أن يوصف تــرك التبليغ بتهديد أعظم من أنه ترك التبليغ فكان ذلك تنبيهاً على غاية التهديد والوعيد"(١).

وبهذا يعلم من الشرط أن تلك المنزلة لا تليق بالرسول – صلى الله عليه وسلم – ويظهر أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – لا يكتم شيئاً مما أوحى إليه..

وقد جاء الشرط ب (إن) التى من شأنها فى كلام العرب عدم اليقين بوقوع الشرط ، لأن عدم التبليغ غير مظنون بمحمد – صلى الله عليه وسلم – وإنما فــرض هذا الشرط ليبنى عليه الجواب ، وهو (فما بلغت رسالته) ليستفيق الذين يرجون أن يسكت رسول الله عن قراءة القرآن النازل بفضائحهم من اليهود والمنافقين ، وليبكت من علم الله أنهم سيفترون فيزعمون أن قرآناً كثيراً لم يبلغه رسول هذه الأمة – صلى الله عليه وسلم – (٢)

وقد تآزرت الجملة السابقة على جملة الشرط والجزاء واللاحقة لها على تأكيد هذا المعنى ونفيه عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :

– حيث افتتح الخطاب بندائه بوصف الرسالة (يأيها الرسول ...) إيماءً إلى وجه بناء الخبر الآتى بعده ، لأن البلاغ من متطلبات الرسالة ومقتضياتها ، ولا يليق بمن هذا وصفه أن يكتم شيئاً من أصول الرسالة أو فروعها .

– وفى تقييد الإنزال بالجار والمجرور (إليك) دون (إليكم) أو (إلــيهم) كما فى آيات أخر ، إشارة إلى كون الرسول – صلى الله عليه وسلم – هو الواســطة بين الله والناس ، وفى ذلك من التبجيل والتعظيم ما فيه .

---

(١) السابق ١٢ /٤٩

(٢) التحرير والتنوير ٢٦٢/٦ .

– فى تعليق الإنزال بأنه من الرب تشريف للمنزل ، والإتيان بلفظ الرب هنا دون اسم الجلالة ، لما فى التذكير بأنه ربه من معنى كرامته ، ومن معنى أداء ما أراد إبلاغه ،كما ينبغى من التعجيل والإشاعة والحث على تناوله والعمل بما فيه(١).

وجاء التعقيب على هذا الأسلوب الذى اتحد فيه الشرط والجزاء بقوله تعالى (والله يعصمك من الناس)

حيث قدم اسم (الله) للاهتمام به ،لأن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان يتوقع تكذيب قومه ، ورفضهم الدعوة ، وإيذاءهم له ، فكان هذا التقديم للمسند إليه على خبره الفعلى بعثاً للطمأنينة فى نفس رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، وان هذا التقديم يومئ إلى أن الرسول ما عليه إلا البلاغ أما الحفظ والعصمة من الناس فمن الله .

وقد تحدث الإمام عبدالقاهر عن المواضع التى يحسن فيها تقديم المسند إليه على خبره الفعلى ، للاهتمام به .

وذكر أن مما يحسن ذلك فيه ويكثر ، الوعد والضمان ، كقول الرجل : أنا أعطيك ، أنا أكفيك ، أنا أقوم بهذا الأمر ... ورأى الشيخ أن ذلك المقام أحوج شئ إلى التأكيد عن طريق التقديم . (٢)

– ولذلك أيضاً جاء تذييل الآية على تقديم المسند إليه (إن الله لا يهدى القوم الكافرين) والتأكيد بإن .

وهكذا تآزرت هذه الأساليب على الإبلاغ فى الجزاء ، المتولد عن اتحاد الشرط والجزاء الذى أفاد المبالغة فى الوعيد ، بحيث لا يمكن أن يوصف جزاء ترك البلاغ بوعيد أشد من أنه ترك البلاغ .

---

(١) التحرير والتنوير ٦/٢٦٢ .

(٢) ينظر دلائل الإعجاز /١٣٤

ومن ورود الأسلوب فى السياق نفسه قوله تعالى :

(فغشيهم من اليم ما غشيهم) طه / ٧٨ .

والآية وردت فى سياق بيان ما لحق بفرعون وجنوده ، حينما أرادوا إيذاء موسى وملائه .

والمعنى جاءهم من البحر ما جاءهم ، ولحقهم منه ما لحقهم ، فقوله : ما غشيهم يفيد ما أفاده قوله : فغشيهم من اليم .. إذ من المعلوم أنهم غشيهم غاش.

فالأسلوب جاء على اتحاد طرفى الجملة الذى يؤتى به عند إرادة الإبلاغ وللعلماء فى تأويل هذا الاتحاد توجهات عدة ، لعل أرجحها وأقربها تأويلان . (١)

أولهما : أن ذلك من باب التهويل ، أى بلغ من هول ذلك الغرق أنه لا يستطاع وصفه .. أى علاهم منه وغمرهم من الأمر الهائل الذى لا يقادر قدره . ولا يبلغ كنهه ...

قال الزمخشرى : من باب الاختصار ، ومن جوامع الكلم ، التى تستقل مع قلتها بالمعانى الكثيرة ، أى غشيهم ما لا يعلم كنهه إلا الله . (٢)

ثانيهما : أن المعنى : فغشيهم الذى عرفتموه وسمعتم به ، فيؤول إلى تعظيم الأمر ، لأن (غشيهم) دل على (ما غشيهم) فيكون ذكره تعظيماً ، كما هو شأن اتحاد طرفى الجملة ، فهو من باب : أنا أبو النجم وشعرى شعرى ...

والتاويلان يؤلان إلى معنى التهويل والتعظيم ، تولد الأول منهما من تعريف المسند إليه بالموصول ، وتولد ثانيهما من اتحاد طرفى الجملة ، وهما يؤلان إلى معنى واحد ، وهو التأويل والتعظيم فى شأن ما لحق بفرعون وجنوده حينما أرادوا أن يلحقوا بموسى وقومه .

---

(١) ينظر : البحر المحيط ٢٣٨/١٦ ، والتحرير والتنوير ٢٧٢/١٦ .

(٢) الكشاف : ٥٤٧/٢ .

ومن اتحاد طرفى الجملة شرطاً وجزاءاً فى السياق نفسه قوله صلى الله عليه وسلم " فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه "(١) .

ورد هذا الجزء من الحديث الشريف فى سياق بيان منزلة النية من الأعمال وبيان قيمتها ، إذ لا عمل بدون نية ، وان قيمة العمل ومنزلته ، إنما تتحدد بالنية التى صحبته وكانت مقدمة له .

لذا بدأ المحدثون مصنفاتهم بهذا الحديث إعلاء لشأن النية ، وبياناً لمنزلتها السامية (٢)

وإشارة إلى أن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى فهو باطل لا ثمرة له فى الدنيا ولا فى الآخرة ، بل عدوا هذا الحديث من أصول السنة ، وأحد الأحاديث التى يدور الدين عليها فقد روى عن الشافعى : هذا الحديث ثلث العلم ، ويدخل فى سبعين باباً من الفقه (٣) .

من اجل هذه الأهمية للنية فى الإسلام ، جاء التعبير من خلال اتحاد طرفى الجملة فى الحالتين ، حالة المدح (فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله) .

وفى حالة الذم (ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه) .

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب كيف كان بدء الوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) صدر البخارى بهذا الحديث كتاب الصحيح وأقامه مقام الخطبة له .

(٣) جامع العلوم والحكم صـ ١٢ لابن رجب .

ذكر ابن هشام فى المغنى : أن اتحاد السبب والمسبب ممتنع ، ثم قال : وأما نحو (فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ....) فمؤول على إقامة السبب مقام المسبب ، لاشتهار المسبب (١) .

فاتحاد الشرط والجزاء فى الجملتين يكمن وراءه سر بلاغى هو الإبلاغ فى وصف جزاء الفريقين ، وإعلاء الوصف فى كل منهما ، وكأنه لا يوجد جزاء لمن أخلص فى هجرته ، وكانت لله ورسوله ، أسمى ولا أرقى من أن تكون هذه الهجرة لله ورسوله .

ولا جزاء لمن أشرك فى هجرته وكان لغرض حقير ، وعرض زائل من الدنيا أحط ولا أدنى من أن تكون هجرته لهذا الغرض .

وقد تلاءم هذا الأسلوب مع سياق الحديث الذى جاء ليقصر الأعمال . على النيات (إنما الأعمال بالنيات) قصراً حقيقياً أو إضافياً ، على حسب المراد من الأعمال .

وقد أكد هذه الجملة بجملة (وإنما لكل امرئ ما نوى) والفرق بينهما أن الجملة الأولى لبيان أن الأعمال لا يعتد بها شرعاً إلا بالنية الموجدة لها ، وهذه الجملة لبيان أن جزاء العامل على عمله بحسب نيته ، من خير أو شر ، وبيان أن العمل لا يجزئ إلا إن عينت نيته (٢) .

وفى الجمع بين هاتين الجملتين ما يعلى من شأن النية ، ويبين منزلتها وأهميتها فى أى عمل .

---

(١) مغنى اللبيب ، وهمع الهوامع ٢/٥٩ .

(٢) دليل الفاتحين : صـ ٥٠ لابن علان

ثم جاء ترتيب جملة (فمن كانت هجرته ...) على ما قبله ، تفصيلاً لبعض الأعمال فيما قبله ، والتقدير : إذا تقدر أن لكل امرئ ما نواه ، من طاعة أو معصية ، فلابد من مثال يجمع الأعمال كلها ، أمرها ونهيها وذلك الهجرة [١].

ومن ثم جاء بالجزاء على تقدير " من " شرطية ، أو الخبر ، على أنها موصولة ، جاء به متحداً مع الشرط أو المبتدأ ، إعلاء من شأن من كانت هجرته لله ورسوله ، وحطاً من قدر من كانت هجرته لغير ذلك .

وقد تأول بعضهم هذا الحديث على أن المراد : من كانت هجرته نية وقصداً فهجرته حكماً وشرعاً ... إلى غيرها من التأويلات .

ولم يرتض شراح الحديث هذه التأويلات ، ورأوا أن اتحاد الشرط والجزاء ، أو المبتدأ والخبر فى الأولى للمبالغة فى تعظيم من كانت هجرته لله ورسوله ، وفى الثانية للمبالغة فى تحقير من كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها ، هذا هو التأويل الأليق بسياق الحديث ، والأنسب لمقام بيان التفاوت بين الهجرتين.

جاء فى شرح البخارى للعينى : فإن قلت : فما الفائدة حينئذ فى الإتيان بالمبتدأ والخبر بالاتحاد ، وكذا فى الشرط والجزاء .

قلت : يعلم منه التعظيم نحو : أنا أنا ، وشعرى شعرى ، ومن هذا القبيل فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، وقد يقصد به التحقير نحو قوله : فهجرته إلى ما هاجر إليه .... وقدر أبو الفتح القشيرى : فمن كانت هجرته نية وقصداً ، فهجرته حكماً وشرعاً ، واستحسن بعضهم هذا التأويل وليس هذا بشئ ، لأنه على هذا التقدير يفوت المعنى المشعر على التعظيم ، فى جانب ، والتحقير فى جانب ، وهما مقصودان فى الحديث .[٢]

---

(١) السابق ٥٠- ٥١ .

(٢) عمدة القارئ شرح صحيح البخارى ٢٨/١ ، بدر الدين العينى ، وينظر صحيح البخارى بشرح الكرمانى ١٩/١ .

ويمكننا أن نؤكد قصد التعظيم فى الجملة الأولى ، والتحقير فى الثانية المتولد من اتحاد طرفى الجملة من حيث :

– التعبير الكنائى فى قوله (من كانت هجرته لله ورسوله) فالتعبير كناية عن الإخلاص ولا أدل عليه من أن يكون لله ورسوله .

بينما جاء التعبير فى الجملة الثانية (ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها) حيث جاء ب (دنيا وامرأة) نكرتين للتحقير ، فما ينبغى أن تكونا هم المهاجر وغرضه ، لا سيما وإن وضعتا فى مقابل (الله ورسوله) فكل عظيم يقابلهما حقير ، فما بالك لو كان حقيراً ؟ وقد أكد تلك الحقارة بالوصف(يصيبها) و (ينكحها) وما فيها من إشارة إلى دونية الطلب ، وتسفل المقصد ، وانحطاط الهمة .

وذكر المرأة بعد ذكر الدنيا من عطف الخاص على العام ، إبلاغاً فى الذم ، وإظهاراً للتفاوت بين الحالتين ، وتأكيداً على دناءة المقصد ، وتحذيراً من فتنة النساء ، وإشعاراً بأنهن أعظم ضرراً ، هذا فضلاً عن كون هذا سبب الحديث .

– جاء تعدية الفعل فى الجملة الأولى ب (إلى) ، بينما تعدى الفعل فى الجملة الثانية باللام (إلى الله ورسوله) (لدنيا يصيبها)

وحكمة التغاير فى التعبير هنا ، إفادة أن من كانت هجرته لله ورسوله ، يحصل له كل خير ، ويحظى بكل فضل ، وينال كل نعيم مما يمكن أن يوصف ومما لا يخطر على البال .

أما من كانت هجرته من أجل هذا الغرض الدنئ ، فذلك نهاية هجرته ، ومنتهى جزائه لا يحصل له غيره ، وتلك خيبة لا توصف ، وخذلان لا يمكن أن يسمى بأبلغ مما ذكر فى الحديث .

– خولف بين الجملتين فى بناء الجواب فى أولاهما على الإظهار ، وفى ثانيهما على الإضمار ، تأكيداً للتعظيم فى الأولى ، وللتحقير فى الثانية ويعضده التعبير بالموصول لإفادة التحقير وذم فاعل ذلك .

جاء فى دليل الفالحين :

والحكمة من اتحاد الشرط والجزاء لفظاً فى الأولى ، التبرك بذكر الله ورسوله ، والتعظيم بهما بتكراره ، وبكونه أبلغ فى الهجرة إليهما ، إذ من سعى لخدمة ملك تعظيماً له أجزل عطاء ممن سعى لينال كسرة من مأدبة ، وتركه فى الثانية إظهار عدم الاحتفال بأمرهما ، والتنبيه على أن العدول عن ذكرهما أبلغ فى الأجر عن قصدهما ، فكأنه قال : إلى ما هاجر إليه ، وهو حقير مهين لا يجدى[١] فإبراز الضمير فى الجملة الأولى لقصد الالتذاذ بذكر الله ورسوله وعظم شأنهما بخلاف الجملة الثانية فإن السياق يشعر بالحث على الإعراض عن الدنيا والمرأة .

وقد يكون السر فى ذلك التغاير فى التعبير أن أعراض الدنيا لا تنحصر فأتى بما يشملها وهو ما هاجر إليه ، بخلاف الهجرة إلى الله ورسوله ، فإنه لا تعدد فيها ، فأعيد بلفظها ؛ تنبيهاً على ذلك [٢] .

وهكذا تعانقت تلك الخصائص الأسلوبية مع اتحاد طرفى الجملة لإفادة التعظيم فى الأولى ، والتحقير فى الثانية ، والإعلاء فى وصفهما ، وأى تأويل آخر يفوت معه هذا المعنى المقصود فى الحديث الذى جاء ليعلى من شأن النية ، ويبين عظيم أثرها ، ويظهر التفاوت الجلى بين هجرتين .

---

(١) دليل الفالحين /٥٣ .

(٢)دليل الفالحين ٥٤ .

ومن اتحاد طرفى الجملة كذلك فى السياق نفسه قوله – صلى الله عليه وسلم – (من رآنى فى المنام فقد رآنى) (١)

وقد ورد هذا الجزء ضمن حديث يحذر من الكذب على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، والكذب فى الرؤيا قسيم الكذب فى اليقظة ، فأشير إليه فى هذه الجملة .

وقد جاء الشرط والجزاء فى الحديث متحدين ، ومعلوم أن الشرط والجزاء إذا اتحدا صورة دل على الكمال والغاية ، أى رآنى رؤيا حق ليس بعدها شئ ، متناهية فى الكمال والحقيقة ... ، فهى ليست بأضغاث أحلام ، ولا من تشبيه الشيطان .

يقول الطيبى : اتحد فى الخبر الشرط والجزاء ، فدل على التناهى فى المبالغة ، أى من رآنى فقد رأى حقيقتى على كمالها بغير شبهة ولا ارتياب فيما رأى ، بل هى رؤيا كاملة ويؤيده قوله (فقد رأى الحق) أى رؤية الحق لا الباطل.

والذى يظهر لى : أن المراد من رآنى فى المنام على أى صفة كانت فليستبشر ويعلم أنه قد رأى الرؤيا الحق التى هى من الله ، لا الباطل الذى هو الحلم ، فإن الشيطان لا يتمثل بى " (٢)

فاتحاد الشرط والجزاء جاء هنا ليدل على أنها رؤيا متناهية فى الكمال والغاية كما هو طبيعة هذا الأسلوب .

ومنه فى سياق الجزاء قول الشاعر

والعيد عيد للذين هم اتقوا ويذوق مر الكأس فيه من شقوا (١)

---

(١) صحيح البخارى ٣٨/١ كتاب العلم باب أثم من كذب على النبى –صلى الله عليه وسلم – وأيضاً فى كتاب الأدب ٥٤/٨ وكتاب التعبير ٤٢/١ ، وفى صحيح مسلم ٣٠٧/٢ كتاب الرؤيا باب قول النبى : من رآنى فى المنام فقد رآنى .

(٢) ينظر : فتح البارى ٤٤/١٦–٤٥ ، وعمدة القارى ١١٧/٢ وصحيح البخارى بشرح الكرمانى١١٧/٢ .

والتعبير فى الشطر الأول كناية عن الفرح والسرور ، إذ العيد من أجلى مظاهره ، وفى الشطر الثانى كناية عن الشقاء والخذلان ، وهى كناية مبنية على استعارة وجمال الكنايتين أنهما جاءتا من خلال المقابلة بين حالتى السعادة والشقاء بين حالتى التوفيق والخذلان ، لتبرز تلك المفارقة العجيبة بين صنفين من الناس فى يوم واحد .... هو يوم العيد .

أشار إلى الصنف الأول فى قوله :

لك بعد صومك فيه رنة فرحة تعلو رنين كؤوسهم بل تغدق

وأشار إلى الثانى بقوله :

خزى من الإفطار عند صيام من صاموا وأنوار الرضا تتدفق

وفى قوله (العيد عيد) جاء إبلاغاً فى وصف جزاء ، من اتقى الله فى رمضان ، وصان جوارحه عن المحرمات .... وفى اتحاد المبتدأ والخبر مبالغة فى وصف الفرحة والبهجة التى ينعم بها الصائمون يوم عيدهم ، وسر التعبير بهذا الأسلوب تعذر التعبير بغير ذلك الوصف ، إذ هو إخبار بغاية الفرح والسرور ونهاية النشوة والحبور، فليس ثمة تعبير أبلغ فى وصف تلك المشاعر أبلغ من هذا الأسلوب.

وهكذا نجد أن هذا الأسلوب كثر فى سياق طلاقة الجزاء ، دلالة على الإعلاء من شأنه ، والإبلاغ فى وصفه ، وأنه جزاء لا يقادر قدره ، ولا يبلغ كنهه ، ولا يمكن أن يسمى أو يوصف بغير اسمه .

فى سياق الهجاء والمدح

ومن شواهد اتحاد طرفى الإسناد فى سياق الهجاء والمدح ، قول الشاعر:

أبوك أبوك أربد غيرشك أحلك فى المخازى حيث حلا [٢]

---

(١) ديوان (لزومياتك الجديدة) ٥١/٢ للشريف محمود عبد العاطى .

(٢) البيت الجميل فى شرح ديوان الحماسة للمرزوقى ٣١٤/١

يقول : إن لؤم أبيه موروث ، وأنه اقتداء بسلفه ، قد أنزل ابنه منزلـــه فـــى المخازى والقبائح حقاً لا مرية فيه [١] .

وقد اختلف العلماء فى توجيه التكرار فى أبوك أبوك على رأيين :

أحدهما : أن يكون (أبوك) الثانية تأكيداً ، وأريد بدل منه وخبـــر المبتـــدأ : أحلك .

ثانيهما : أن يكون (الأب) الثانى خبراً عن الأول : كقول العجلى : أنا أبـــو النجم وشعرى شعرى [٢] .

ويترجح – عندى – الوجه الثانى ، لأنه أقذع فى الذم ، وأبلغ فى المهانـــة ، وأشد فى الهجاء ، لما سبق من أن هذا الأسلوب يفيد الإبلاغ فى الصفة ، فكأنـــه أراد أن يقول : أبوك على ما عرفت وسمعت من الذلة والمهانة والضعة ولؤم الطبـــاع ، ولا أدل على التعبير عن هذه الصـــفات من التعبير بهـــذا الاســـم نفســـه (أبـــوك) فهو قد بلغ فى هذه الصفات مبلغاً بحيث يكتفى باسمه عن نعته وصفته .

فجعله خبراً أبلغ من كونه تأكيداً ، لما يحمل هذا الأسلوب مـــن إعـــلاء فـــى الصفة ، وإبلاغ فيه ، ما لا تحمله جملة مؤكدات مجتمعة .

ومع هذا فقد أكده الشاعر بقوله (غير شك) وغير منصوب على المصـــدر وهو ما يؤكد به ما قبله ، ومثله : حقاً وما أشبهه . [٣]

وقد أكد هذا اللؤم الذى أورث فيه الوالد ابنه ، فصار نظيره فـــى المخـــازى والقبائح بقوله (أحلك فى المخازى حيث حلا) وهى جملة غاية فى الإقذاع ، حيـــث عبر ب (أحل) الذى يفيد التمكن والحيازة ، فهو قد حاز اللؤم والضعة ، ونال منها

---

(١) شرح ديوان الحماسة ٣١٤/١

(٢) ينظر الأمالى ٣٧٢/١ –٣٧٣

(٣) شرح ديوان الحماسة ٣١٤/١ .

القسط الأوفر ، والتعبير ب (فى) الظرفية ، وجمع (المخازى) ، والإبهام فى (حيث حلا) كل ذلك يشعر ببعد درجتهم فى وادى الخزى والهوان ، وأنهم قد بلغوا فيه درجة لا يمكن أن تتصور ،إلا بأن تتخيل أنه قد وصل فيها إلى حيث وصل أبوه.

وقد أكد هذه المعانى بقوله بعد بيت الشاهد :

فما أنفيك كى تزداد لوماً لألأم من أبيك ولا أذلا

يقول : لا أبرئك من أبيك طلباً لأن أنسبك إلى من هو ألأم منه وأذل لتزداد ذلاً ولؤماً ، لأن أباك النهاية فى هذين . (١)

ومنه قول الشاعر

رفونى وقالوا يا خويلد لا ترع فقلت وأنكرت الوجوه هم هم (٢)

أى هم الذين يطرودوننى ويطلبون دمى .

وهذا البيت للهذلى ، مطلع قصيدة ، وهى ستة عشر بيتاً ذكر فيها تفلته من أعدائه حين صادفهم فى الطريق كامنين له ، وسرعة عدوه حتى نجا منهم .

ورفونى : رفوت الرجل : أى سكنته ، وخويلد : اسم الشاعر (٣)

وقد جاء التعبير عن شرهم ومكرهم باتحاد الطرفين : هم هم

أى هم الذين أعرفهم بالشر والنكر ، والمكر والدهاء ، لم يستحيلوا ولم يتغيروا ، رغم محاولتهم إخفاء شرهم ومكرهم .

والأسلوب بما يحمل من إبلاغ فى الوصف يؤدى هذا المعنى على أكمل وجه.

روى السكرى فى شعر أشعار الهذليين عن الأخفش : خرج أبو خراش وأم خراش يريدان بعض أهلهما ، فمرا بخزاعة ، فلما رأتهما خزاعة ، قالوا : هذا أبو خراش وامرأته فلا تهيجوهما حتى يدنوا منا ، فقال أبو خراش لأم خراش : فإن سألوك فقولى : تخلف وكأنه يقضى حاجة وهو مار بكم ، فمضت ، حتى إذا علم أبو

---

(١) شرح ديوان الحماسة ٣١٤/١

(٢) الخصائص ٣٣٧/٣ .

(٣) خزانة الأدب ٤٤/١ .

خراش أنها قد جاوزت الثنية وأمنهم ، جاء يمشى رويداً ، حتى مر فى وسطهم فسلم فردوا عليه السلام ، فقال : ممن أنتم ؟ قالوا : إخوتك وبنو عمك ، فتباعد منهم ، فهموا به ، فغدا ، وعدوا على إثره ، فأعجزهم وجعلوا ينظرون إليه ويرمونه ونجا منهم [١]

ومن مجئ هذا الأسلوب فى سياق المدح قول المتنبى

قبيل أنت أنت وأنت منهم وجدك بشر الملك الهمام [٢]

فقوله : أنت أنت من هذا الباب ، وفائدته المبالغة فى مدحه ، أى انك المشار إليه بالفضل والسيادة والمجد دون غيرك .

وقوله : أنت منهم ، يريد مدح قبيلته ....

واستهجن ابن الأثير هذا البيت ، ورأى أنه ضعيف ، وسبكه سبك عار من الحسن ، وبه تعقيد لفظى . [٣]

ومع عدم رضاه عن سبك هذا البيت ونظمه ، إلا أنه قد أقّر ببلاغة أسلوب أنت أنت ، لأنه يحمل من الإبلاغ فى الوصف ما ليس فى غيره .

ولهذا قال عنه : ولو مدحه بما شاء الله لما سد مسده [٤] .

ومنه فى سياق المدح أيضاً ما أورده ابن الأثير نقلاً عن الأغانى : من قول زياد ابن الهبولة :

لو صرعتم يا بنى شيبان الرجال كما تصرعون الإبل لكنتم أنتم أنتم

يقول ابن الأثير :

---

(١) خزانة الأدب ٤٤/١ .

(٢) ديوانه ٧٩/٤ بشرح العكبرى.

(٣) يراجع : المثل السائر ١٩١/٢

(٤) السابق نفسه

وقوله : أنتم أنتم " أى أنتم الأشداء أو الشجعان ، او ذوو النجدة والبـــأس ، أو ما جرى هذا المجرى ؛ إلا أن فى (أنتم) الثانية تخصيصاً لهم بهــذه الصـــفة دون غيرهم ، كأنه قال : كنتم أنتم الشجعان دون غيركم ، ولو مدحهم بأى شئ مدحهم من وصف البـــأس والشدة والشـــجاعة ، لما بلغ هذه الكلمة ،أعنى(أنتم) الثانية [١]

وهكذا .. فإن هذا الأسلوب يحمل من الإبلاغ فى الوصف ، والإبهـــام فيـــه بحيث يلمح إلى صفات كثيرة تفهم من السياق ، ما يلائم مقام المدح والهجاء .

فى سياق الفخر

ومن اتحاد الطرفين فى سياق الفخر

قول الشاعر : أنا أبو النجم وشعرى شعرى ..

البيت لأبى النجم العجلى فى الفخر ، لذا أخبر عن المبتدأ بنفس الخبر ، وعدم المغايرة ، قصد بها الشاعر الدلالة على الشـــهرة ، أى شـــعرى الآن هـــو شـــعرى المعروف بنفسه ، لا يمكن أن يعرف بشئ أخر غير هذا .

وقد شهر هذا البيت لدى العلماء حتى صار مثلاً عندهم لهـــذا التأويـــل فيمـــا ظاهره الاتحاد بين الموضوع والمحمول ، وفى أن عدم مغايرة الخبر للمبتدأ إنما هو فى اللفظ ، وأما فى المعنى فهو مغايرة يفيد الشهرة

فتراهم يقولون : هذا على قاعدة ، أو على قانون : شعرى شعرى ، أى على طريقتهما فى التأويل ، بما يخرجهما عن الاتحاد من كل وجه [٢] .

فقد استشهد صاحب الكشاف عند قوله تعالى (والسابقون السابقون)

---

(١) يراجع : المثل السائر ١٩١/٢.

(٢) ينظر : حاشية الصبان على شرح الأشمونى ١٥٥/١ ومغنى اللبيب ٦٥٧/٢-٦٥٨ . وشرح أبيات المغنى ٤٣٩/١ والخصائص ٣٣٧/٣ .

على أن المراد السابقون من عرفت حالهم ، وبلغك وصفهم ، كما فى شعرى شعرى ، أى شعرى ما بلغك وصفه وسمعت ببراعته وفصاحته [١].

وهذا الأسلوب جاء متلائماً مع فخر الشاعر بفصاحته وبلاغته ، فاتحاد الطرفين أفاد أن شعره متناه فى الفصاحة والبلاغة ، وأنه الغاية فى باب البيان ، وأن شهرته ودويه قد طبقت الآفاق ، وأقر بها القاصى والدانى وأصبحت من المسلمات التى لا تنكر ولا تدفع .

وقد تلاءم مع هذا الأسلوب خصائص أسلوبية تؤكد فخر الشاعر بشعره وأنه شعر من طراز وحده ، فهو الشعر وغيره الصدى .

أنا أبو النجم وشعرى شعرى

لله درى ما أجن صدرى من كلمات باقيات الحر

تنام عينى وفؤادى يسرى مع العفاريت بأرض قفر

من ذلك قوله :

– أنا أبو النجم : وهو كنية الشاعر ، وصح إيقاعه خبراً ــ لتضمنه نوع وصفية ، واشتهاره بالكمال ، ففى هذا التعبير إشارة إلى بلوغه الكمال فى باب الشعر والبيان ، فلا ينبغى أن يتوهم متوهم أن قريحتى كلت ، أو أن الحوادث أعيتنى ، أن أقول من الشعر ما كنت أقوله ، فشعرى الذى أقول اليوم ، هو شعرى الذى كنت أقوله بالأمس ...

فتعريف المسند إليه هنا للكمال فى الصفة ، ليتعانق مع اتحاد طرفى الإسناد بعده .

يقول الإمام عبدالقاهر عن مثل هذا التعبير : وهذا فن عجيب الشأن ، وله مكان من الفخامة والنبل،وهو من سحر البيان الذى تقصر العبارة عن تأدية حقه[٢].

---

(١) الكشاف ٥٢/٤ .

(٢) دلائل الإعجاز ١٨٣

فهذا التعريف يلفت الأنظار ، ويوجه العقول ، ويشد الانتباه إلى هذا الممدوح وكماله ، وأنه صار فرداً فى عوالم الشعر ، علماً فى أودية البيان ، فيكفى أن تذكر اسم الشاعر لتعرف شعره الذى بلغ حداً متناهياً فى الكمال والبيان فكأنه أراد أن يقول : أنا ذلك المعروف الموصوف بالكمال ، وشعرى هو الموصوف بالفصاحة . ولهذا سرت صيغ التعجب من بلاغة شعره فى ثنايا الأبيات ، لله درى ، والدر فى الأصل : اللبن ، ويقال فى المدح : أى عمله

– ما أجن صدرى : صيغة تعجب من الجنون ، ومن كلمات : متعلق به ، ومن ابتدائية أو تعليلية [١] .

– تنكير الكلمات للتعظيم فهى كلمات متناهية فى الجودة والبلاغة ، ولذا وصفها ب (باقيات) فهى خالدة سارية فى الآفاق شأن كل بيان راق وأدب سام ، يبقى وإن فنى صاحبه .

ثم إن خلوده لأنه ليس مستمداً من عالم البشر ، بل من عالم الجن ، فهو شعر غريب خارق خارج عن طوق البشر .

كل هذا يتناسب مع مجئ طرفى الإسناد متحدين ، للإدلال والثقة بمحصول الحال – كما يقول ابن جنى : أى إن شعرى هو الموصوف بالفصاحة والبيان كما عرفت وسمعت لا شئ آخر .

ومن شواهد هذا الباب فى سياق الفخر قول الشاعر:

وإنى من القوم الذين هم هم إذا مات منهم سيد قام صاحبه[٢]

فقد جاء الشاعر بطرفى الإسناد متحدين (هم هم) إعلاء فى الوصف ، وإشعاراً بأنه من قوم بلغوا من الشهرة والمجد حيث يكتفى باسمهم عن صفاتهم ونعتهم ، فهم قوم لا يزيدهم الوصف شيئاً .

---

(١) خزانة الأدب ٤٣٩/١ .

(٢) البيت لأبى الطمحان واسمه حنظلة بن الشرقى ينظر : الكامل فى اللغة والأدب ٣١/٣٠ .

ثم هو من هؤلاء القوم الذين يتوارثون المجد ، ولا يخلو جيل منهم من ماجد نبيل وهذا أدخل فى وصفه بالمجد ، فهو على نسق قوله تعالى (إنه من عبادنا المخلصين) يوسف / ٢٤ (وكانت من القانتين) التحريم /١٢

لأنه كإقامة البينة على صحة الدعوى

ولهذا قيل عن هذا البيت : إنه أمدح بيت فى الجاهلية [١]

وقد جاء هذا الأسلوب لبنة فى صرح القصيدة التى حفلت بخصائص أسلوبية تعانقت معه ، لتعمق من معنى الفخر وتزكيه ... وها هى الأبيات .

نجوم سماء كلما غار كوكب بدا كوكب تأوى إليه كواكبه

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

وما زال منهم حيث كان مسود تسير المنايا حيث سارت كتائبه

والبيت تفسير لبيت الشاهد ، وتمثيل لتوارث المجد ، وإظهار للمعقول فى صورة المحس المشاهد .

فقد استعار الغور ، للفقد والموت ، والكوكب للماجد النبيل من قومه ، والبيت كله استعارة تمثيلية ، التقييد ب (كلما) يشعر بأن هذه القبيلة مصنع للرجولة والسيادة ، فلا يغيب منها ماجد نبيل ، إلا ويظهر منها آخر .

وقد بنى البيت على حذف المسند إليه ، قفزاً إلى المطلوب من إثبات الضياء والإشراق لقومه ، ولقوة انفعاله بهذا الجانب المشرق من حياة هؤلاء القوم ، كما بدا من تكراره عنصر الضياء والإشراف أربع مرات ، والشاعر لا يكرر إلا ما هو موضع اهتمامه .

يقول عبدالقاهر :

ومن المواضع التى يطرد فيها حذف المبتدأ ، القطع والاستئناف يبدءون

---

(١) خزانة الأدب ٩٦/١٨ .

بذكر الرجل ويقدمون بعض أمره ، ثم يدعون الكلام الأول ويستأنفون كلاماً آخر وإذا فعلوا ذلك أتوا فى أكثر الأمر بخبر من غير مبتدأ " (١)

والدليل على قوة انفعال الشاعر بهذا المعنى إلحاحه عليه فى البيت التالى عليه.

والتعبير الكنائى فى أضاءت لهم أحسابهم ، للدلالة على كرم طباعهم ، وعراقة أصولهم ، وتقييد الضياء بدجى الليل ، لأن الإحساس بهذا المعنى يعظم فى ذلك الوقت الذى يعم فيه الكون الظلام .

والمبالغة المقبولة (حتى نظم الجزع ثاقبه) التى اعتمدت على نوع من الخيال ، قربتها من الحقيقة، وأدنتها من الواقع ، وأنستنا ما فيها من غلو ومبالغة .

ثم إن السيادة لم تكن بالنسبة لهم مغنماً ولا تطلعاً ، بل سودتهم طبائعهم وأحسابهم وتضحياتهم ولهذا جاء بلفظ السيادة على صيغة المفعول واعترض بجملة – حيث كان – للغرض نفسه .

وكما انفعل بجانب الضياء والإشراق ، ذكر مفخرة أخرى لهؤلاء القوم احتراساً وتكميلاً ... تسير المنايا حيث سارت كتائبه .

والتعبير كناية فجعل كون الموت يسير حيث سارت ألويتهم وكتائبهم ، فصار التعبير أفخم لفظاً ، وأجزل موقعاً ، وفيه من الفضل والمزية ، ومن الحسن والرونق ، ما لا يقل قليله ، ولا يجهل موضع الفضيلة منه .

أرأيت كيف جاء اتحاد الطرفين فى هذا السياق قاراً فى مقامه ، لا يسد غيره مسده ، ليعلى من شأن هؤلاء القوم ، ويعمق من معنى فخرهم ويزكيه .

وقد استلهم شعراؤنا المعاصرون هذا المعنى الشائق النابض بالحياة ، فنجد الأمير شكيب أرسلان يقول :

وإنى من القوم الذين هم هم إذا غاب منهم كوكب لاح كوكب

وقول شاعر آخر يسمى (أبا الصوفى) :

---

(١) دلائل الإعجاز ١٤٧ .

فهل يحسبوا أنى أحدث عنهم بما أودعونى من هواهم ومنهم
أما علموا أنى أمين عليهم وأنى من القوم الذين هم هم

إذا استودعوا الأسرار كان قبورها

والأبيات جميعها تزخر بخصائص أسلوبية تعمق الفخر وتعلى من شأن صاحبه ، ويأتى على رأسها اتحاد طرفى الجملة (هم هم) ، وإن كنت أحسب أن المثالين دون بيت أبى الطمحان ، حيث لم يزد الأمير شكيب أرسلان على سابقه شيئاً مع أنه اتكأ عليه واستلهم صورته .

اللهم إلا فضيلة الإيجاز ، فقد جمع فى بيت واحد ما ذكره أبو الطمحان فى بيتين .

أما النموذج الآخر فقد أفقده الشاعر جزء من جماله عن طريق قوله " إذا استودعوا الأسرار كان قبورها " ذلك أن جزء من جمال هذا الأسلوب (هم هم) يرجع إلى خفائه وغموضه ، بل إن جزء من طبيعة الشعر وجماله ، ترجع إلى أنه رمز ولمح وخفاء ، حتى يشترك السامع مع الشاعر فى فهم الصورة .

وقد ميز الشيخ عبدالقاهر بين درجة الغموض المشرف للمعنى ، والغموض المفسد له ، فالأول يحتاج إلى قدر من الفكر والتأمل ، والثانى ، يحوج إلى فكر زائد على المقدار الذى يجب فى مثله ، ويتعبك بسوء الدلالة [١] .

فجملة (هم هم) تغنى فى سياقها عن جملة (إذا استودعوا ...) فهى بما فيها من دفقة شعورية عالية ، واتحاد طرفى الإسناد ، تدل على أن هؤلاء القوم على ما عرفت من حفظ الأسرار ووأدها وكأنها قد قبرت ، وتدل على غير ذلك وأكثر من ذلك مما يتعلق بالأمانة وحفظ السر .

---

(١) ينظر : أسرار البلاغة ١٤٠ وما بعدها .

فالشاعر بهذه الجملة – قد كشف الصورة ، وذهب بما فيها من لمح وخفـــاء ، فأفقدها جزء من إيحائها وإشعاعها ، لا سيما وأن القصيدة من الشعر الصوفى الذى لا يقوم فقط على اللمح والخفاء ، بل على الرمز والإيماء .

هذه هى المثل التى جاءت من خلال اتحاد الطرفين فى سياق الفخر ، نلحـــظ فيها أن هذا الأسلوب يتلاءم مع هذا الغرض ، لأنه يتيح للمفتخر أن يعلى من صفات الفخر ، وأن يعمق من هذه الصفات بما يقنع السامعين بها .

وقد جاءت مثلها جميعها فى سياق الإثبات ، فلم يتسلط النفى على واحد منها ، بل سبقها التأكيد على اختلاف فى أداة التأكيد بما يناسب كل سياق .

فى سياق النسيب

وفى سياق النسيب جاء لهذا الأسلوب بعض الشواهد منها :

قول الشاعر

بلاد بها كنا وكنا نحبها إذ الناس ناس والزمان زمان [١]

والمصراع الثانى أنشده ابن جنى فى إعراب الحماسة وكذا فى الخصـــائص ، وابن الشجرى فى أماليه ، هكذا :

إذ الناس ناس والبلاد بلاد

وقال البغدادى فى شرح أبيات المغنى : وكذا رأيته فى الحماسة البصـــرية ، أنشد جامعها ، ولم يعزه إلى قائلها :

ألا هل إلى أجبال سلمى بذى اللوى لوى الرمل من قبل الممات معاد

بلاد بها ..... البيت [٢]

---

(١) قال الأصبهانى فى الأغانى : هو لرجل من قوم عاد .. شرح أبيات المغنى ٨/٢٠-٢١ .

(٢) شرح أبيات المغنى ٨/٢٠.

وقد اتحد فى هذا البيت طرفا الإسناد (الناس ناس) (الزمان زمان) إعلاء فى الوصف ، وإبلاغاً فى الحنين ، ومبالغة فى إظهار اللوعة والصبابة ، فكـــان أن ذكر المسند إليه بلفظ المسند ، اكتفاء باسمه عن صفته ونعته

وقد تأوله ابن جنى على : إذ الناس أحرار ، والبلاد أحرار ، ورأى أنه لـــولا هذا التأول لم يجز هذا التعبير " لتعرى الجزء الآخر من زيادة الفائدة على الجـــزء الأول ،وكأنه إنما أعيد لفظ الأول لضرب من الإدلال ،والثقة بمحصول الحال " (١)

وكلام ابن جنى جيد ،وفيه شعور حى ،وإدراك واع بأساليب اللغة وتراكيبهـــا وطرائق صياغتها ،وإلمام تام بنوادرها وشواردها ، إلا أن تأويله ما ورد فى البيـــت من اتحاد طرفى الجملة بقوله : إذ الناس أحرار ، والبلاد أحرار ..... تأويـــل قـــد يكون بعيداً ، لا يساعد عليه السياق ولا البناء التركيبى لبيت الشاهد .

فمن حيث السياق ، فالبيت الذى قبله يمحضه للغزل والنسيب ، ويفصـــح أن الشاعر كان يبكى على أطلال سلمى بذى اللوى ، ويتمنى أن لو أسعفه الدهر بموعد يلتقى فيه وذكرياته وشجونه قبل أن يدركه الممات .

أما من حيث البناء التركيبى فقد حفل البيتان بخصائص أسلوبية ، تحمل دفقة شعورية صادقة ، وومضة نفسية حارة ، وآهات عاشق ملتاع ، يريد ان يحظى بمـــا يطفئ لهيب شوقه وهواه

من ذلك :

– افتتاح الأبيات بالاستفهام ، الذى قصد بها التدله والحيرة ، والشكوى وغلبة الوجد ، الذى بثه من خلال أداة استفهام ، أولاهما : همزة الاستفهام الداخلة على حرف النفى (ألا) والثانية : هل .... بما يشعر أنها نفثة مصدور ، وبوح مكلوم ، نقلهما الشاعر من خلال هاتين الأداتين بما فيهما من مد صوتى أتاح للشاعر أن يفرغ فيه قدراً من حنينه ووجده وشكواه .

---

(١) الخصائص ٣٣٨/٣ .

– تسلط النفى على المكان بما يشعر أنه مبتغاه ومتمناه ، ذلك لأن المكان مضاف إلى محبوبته (سلمى) التى ملكت عليه قلبه وأحاسيسه ، وذكرها لأنها موطن لذته ، وموضع أنسه وهواه ، يلتذ بذكرها ، ويطرب لذكراها .

– تكرار المكان (بذى اللوى لوى الرمل) وما فيه من صدى لانفعال الشاعر ، وحنينه إلى هذا المكان ، فهو موضع أنسه ، وذوب نفسه ، وهو مناط الصورة ومفتاحها ، فالتكرار هنا تعبير عن تأكد مدلول اللفظ المكرر فى نفس لشاعر

– أدخل " من " على الظرف " قبل الممات " دلالة على أنه راضٍ فى سبيل تحقيق أمنيته ومبتغاه ، ولو لم يحصل له ذلك المبتغى المؤم إلا قبل الممات مباشرة .

ذلك أن دخول " من " على الظرف يدل على ابتداء الفعل مباشرة ، فهى هنا تدل على ابتداء الزمان قبل الممات مباشرة ، بخلاف مجئ الظرف دون (من) فهو يدل على امتداد الزمن من غير دلالة على قصر الزمن أو طوله ، فإقحام (من) قبل الظرف أدخل فى النسيب ، وأدل على رضاه فى هواه بأقل القليل ، وهو ما أكده بتنكير (معاد)

– بناء البيت الثانى على حذف المسند إليه (بلاد) ، وذاك من مألوف الأساليب العربية فى صياغتها ، أن يحذف المسند إليه عند ذكر الديار

قال عبدالقاهر[1] بعد أن أورد نماذج لحذف المسند إليه فى هذا السياق :

" وهذه طريقة مستمرة لهم إذا ذكروا الديار والمنازل "

ولعل السر فى ذلك " أن الديار والمنازل من المثيرات التى تهز النفس ، فتتزاحم فيها الخواطر والأطياف والأحلام التى بددتها الأيام فى طغيان قاس عنيف ، فالشاعر فى هذا الموقف يكون ممتلئ النفس أعظم الامتلاء متوتر الحس أشد التوتر

---

(١) دلائل الإعجاز ١٤٧ .

وهذه حال تدعو إلى أن تكون الصياغة مركزة أشد التركيز ، ليكون الأسلوب أشبه بالنفس " (١)

دع هذا الكلام الرائع الشائق الماتع ، الذى يدل على دراية ووعى بالأساليب والتراكيب ، وعلى فطنة ويقظة بطبيعة الشعر والشعراء وما يمور فيها من مشاعر وأحاسيس ، وما يلائمها من تراكيب وصور حتى يشبه الأسلوب نفس قائله ، وحتى تكون الصورة صدى لمبدعها

أقول : دع هذا .... لتركز عدستك على الحذف فى صورة شاعرنا ، لنجد أن سلطان العشق قد سيطر على فؤاده وأحاسيسه ، فقد ذكر أن كينونته وحياته كانت بهذه البلاد ، فلا حياة له بغيرها ، وهو ما يفيده القصر من خلال تقديم الجار والمجرور بها على الفعل (كنا) .

– وما أجمل التكرار الذى أنتج نغماً شاجياً يناسب مقام النسيب والشجن الذى سيطر على الأبيات .

– وإيثار الجمع فى (كنا) ؛ للدلالة على أنه ليس وحده الذى فتن بجمال هذه البلاد التى بها محبوبته ، وليس وحده الذى تحدد مصيره وحياته بهذه البلاد بل ذلك حكم عام لكل من رآها وعايشها وفتن بجمالها .

– ثم يأتى بزفرته الأخيرة ولوعته الشاجية ، من خلال اتحاد طرفى الجملة

(الناس ناس والبلاد بلاد) وما فيها من دفقة شعورية وألم ممض ، وحنين قاس عنيف ... لتلك الذكريات الشاجية وتكرار الاسم ساعد على نقل هذه المشاعر والأحاسيس ، لما فيه من الإبلاغ فى الوصف .

قال ابن هشام بعد أن أورد هذا البيت : " فإن الثانى لو ساوى الأول فى مفهومه لم يكن فى الإخبار به عنه فائدة ، وإنما هذا من باب قوله : أنا أبو النجم

---

(١) خصائص التراكيب ١٦٤ .

وشعرى شعرى .... أى وشعرى لم يتغير عن حالته " [١] وكذلك – هنا – يقصد به إذ الناس كما عهدتهم من المحبة والوفاء والود والإخاء ، والبلاد على ما عرفتها من الجمال والصفاء ، والتعبير بما فيه نفس عال ، وعاطفة حارة .. يدل على هذه المعانى وغيرها .

وقد وفق الشاعر فى اختيار مفردات صورته ، لأن " الناس " مشتقة من الأنس وما تدل عليه من الائتلاف والود ، والبلاد تدل على الاتساع والجمال ... مما يزيد من حرارة حزنه على تذكر تلك الأيام الخوالى .

وقد جاء تقييد الجملة بـ " إذ " ليضرب بحسرته فى أعماق الزمان ، وليؤكد أن ذاك زمان مضى وانقضى ، وليس إلى عودته من سبيل .

وشبيه بهذا البيت – فى سياقه وصياغته – وقد أورده ابن جنى

إذ الناس ناس والبلاد بغرة وإذا أم عمار صديق مساعف [٢]

ومنه فى سياق النسيب قول امرئ القيس :

أجارتنا إنا غريبان هاهنا وكل غريب للغريب نسيب

فإن تصلينا فالقرابة بيننا وإن تهجرينا فالغريب غريب [٣]

حيث اتحد طرفا الجملة فى قوله : " فالغريب غريب " ومراده من ذلك ، الإخبار عن غاية المكروه ، وتمام التفجع ، فلا وصف أبلغ ولا أشمل من وصفه بالغربة .

---

(١) مغنى اللبيب ٦٥٧/٢ – ٦٥٨ .

(٢) الخصائص ٣٣٧/٣ ولسان العرب (سعف)

(٣) ينظر : شرح ابن هشام على قصيدة (بانت سعاد) ، ص : ٦٦ وفى ديوانه ، ص : ٩٧ دون البيت الثانى .

والشاعر مهد لهذه الجملة بأساليب تعبيرية تجعل هذا الحكم قمة المأساة ونهاية الفاجعة ، مما حتم على الشاعر التعبير عن طريق اتحاد المبتدأ والخبر .

فقد بدأ كلامه بالنداء ، ووراء هذا النداء توجع وحنين ، وألم ممض لا سيما وأنه قد كرر النداء إذ قبل هذا البيت قوله :

أجارتنا إن الخطوب تنوب وإنى مقيم ما أقام عسيب *

وتكرار النداء دلالة منه على لزوم التوجع ، وتنبيهاً على حصول العناء ، واختيار الهمزة أداة للنداء ، لأن محبوبه قريب من نفسه ، وكأنه منه بحيث يسمع صوته الخافت القصير ، وإن كان المشهد برمته قائماً على الذكرى والتذكر .

وإيثار التعبير بـ (الجارة) عن المحبوبة لأنها من دلائل المحبة ، ولما فيها من القرب والالتصاق مما يناسب حال الغربة الذى أشاعه الشاعر فى أبياته .

وإضافته إلى ضمير المتكلم فيه نوع من التلطف والتودد لمحبوبته ، وإشارة إلى الوشيجة التى تجمعهما ، فإن لم تكن ثمة صلة فلتكن الصلة هى الغربة كما قال : " وكل غريب للغريب نسيب " وهذه الجملة تحمل معنىً إنسانياً راقياً ، هو أن البلاء يوحد أهله ، والمصائب تجمع أصحابها ، وهو معنى معرق فى الشعر ، لعل امرأ القيس يكون أول من اهتدى إليه وكشف النقاب عنه ، ثم صار معلماً وملهماً للمحبين الذين انقطعت بهم الصلة عن أوطانهم وأحبابهم .

من ذلك قول أبى فراس فى منفاه ببلاد الروم :

أقول وقد ناحت بقربى حمامة أيا جارتا لو تشعرين بحالى

معاذ الهوى ذقت طارقة النوى ولا خطرت منك الهموم ببالى

أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا تعالى أقاسمك الهموم تعالى

وقول شوقى فى منفاه بالأندلس :

يا نائح الطلح أشباه عوادينا نشجى لواديك أم تأسى لوادينا

---

* جبل دفن عنده " امرؤ القيس " .

فإن يك الجنس يابن الطلح فرقنا إن المصائب يجمعن المصابينا

والشاعر يتمنى الوصل واللقاء ، أما إن كانت الأخرى فلن يزيد ذلك من آلامه ، فليس بعد الغربة من فاجعة ، وليس دون البعاد من أخطار ولا أهوال .

ومن هنا جاء الحكم على الشاعر بأنه غريب بما تعنى هذه الكلمة من غربة عن الأهل والأوطان ، والإلف والخلان وبما يمثل قمة التوجع والتفجع والذى عبر عنه بقوله : " والغريب غريب " .

ومن مجئ هذا الأسلوب فى السياق نفسه ، قول أبى تمام

لا أنت أنت ولا الديار ديار خف الهوى وتولت الأوطار [١]

فقد أخبر الشاعر عن المبتدأ " أنت " بنفسه " أنت " وكذلك فى الجملة الثانية (ولا الديار ديار) .

فقد نفى الشاعر أن يكون المخاطب هو هو ، أو أن تكون الديار هى هى ، و هو حكم نابع من حالة شعورية خاصة بالشاعر ، أملت عليه هذا الإسناد الذى اتحد فيه الطرفان .

فالمخاطب هو هو ، وكذلك الديار ، ولكن تغير الزمان ، الذى كان يساعده على قضاء وطره ، واجتماعه بأحبته ، جعله يشعر أن ليس الشخوص هى الشخوص ولا الديار هى الديار .

وقد أكد هذا المعنى بقوله (خف الهوى وتولت الأوطار)

والإسناد على هذه الصورة يحمل دفقة شعورية عالية ، وإحساساً أليماً بسلطان العشق المنقضى الذى تولى وذهبت بواعثه ، والذى بسطه الشاعر فى تلك الصورة الشاجية ، فيقول بعد بيت الشاهد :

كانت مجاورة الطلول وأهلها زمناً عذاب الورد فهى بحار

---

(١) ديوان أبى تمام .

أيام تدمى عينه تلك الدمى فيها وتقمر لبه الأقمار

إذ لا صدوف ولا كنود اسماهما كالمعنيين ولا نوار نوار

فالأبيات جميعها تشير إلى تبدل أحوال الشاعر ، بل وتبدل مظاهر الطبيعة فى عينه ، بسبب تغير حاله مع حبيبه .

وانظر إلى صدر كل بيت منها تجدها نفثه مصدور ، وصرخة مكلوم على تلك الأيام الخوالى التى كانت تجمع شمله بحبيبه ، والتى كانت مجاورة الطلول فيها عذاباً بحضورهم ، ... ثم تغير الحبيب وتغيرت الديار ، وتبدلت مظاهر الطبيعة الفاتنة الجميلة .

تأمل (كانت) فى البيت الأول ، و (أيام) فى الثانى ، و (إذ) فى الثالث تجد كل كلمة منها تقودك إلى حيث الماضى الجميل والذكريات الحلوة قبل أن تتبدل الأحوال ، وتتغير الديار .

فاتحاد طرفى الجملة وتسلط النفى عليهما فى الجملتين قد وقع موقعه من السياق ، وتآزر مع ما بعده من أبيات فى إظهار الحسرة والألم على أيام الشاعر الخوالى التى كان ينعم فيها بالوصل مع أحبابه ، وتأكيده على تغير الشخوص والديار وغيرها من مظاهر الطبيعة ، حيث لم يعد لها ذلك الحسن الذى كان .

وقد أعجب البلاغيون والنقاد بأسلوب أبى تمام هذا ، وصار نبعاً لكثير من الشعراء فى النسيب وغيره كما سنرى .

وحكم عليه ابن الأثير بأنه من المليح النادر " لأنه هو هو ، والديار الديار ، وإنما البواعث التى كانت تبعث على قضاء الأوطار زالت فبقى ذلك الرجل وليس هوهو على الحقيقة ، ولا الديار فى عينه من الحسن تلك الديار " [١] .

ولكن ناقداً من أئمة النقد العربى هو الآمدى لم يرق له تعبير أبى تمام : لا أنت أنت ..لأنه لفظ من ألفاظ الحضر ، وحكم عليه بالرداءة وعدم الجودة .

---

(١) المثل السائر ١٩١/٢ .

ومع هذا فقد استحسن قوله : ولا الديار ديار ، لأنه كلام معروف من كلام العرب مستعمل حسن ، أى ليست الديار دياراً كما عهدت ، مثل ما يقول فى الإيجاب : إذ الناس ناس والزمان زمان

أى كما عهدت ...قال جرير :

وكنا عهدنا الدار والدار مرةً هى الدار إذ حلت بها أم يعمرا

وكما قال ابن حطان فى النفى :

أنكرت بعدك من قد كنت أعرفه ما الناس بعدك يا مرداس بالناس

فبنى أبو تمام على هذا قوله : لا أنت أنت أى لست أنت الذى كنت تعهد محباً وامقاً ، ذا مقة . أى قد تغيرت وتغيرت الديار(١)

بل وفضل عليه بيت البحترى :

هذا العقيق وفيه مرأى مونق للعين لو كان العقيق عقيقاً

يقول الآمدى : لو كان العقيق عقيقاً " كما عهدت ، وهذا مثل قول أبى تمام " ولا الديار ديار " وبيت البحترى أجود ، لأن صدره أحسن معنى من قول أبى تمام : " لا أنت أنت " (٢)

و نحن نتفق مع الآمدى على جودة وحسن قول البحترى (لو كان العقيق عقيقاً) بل إن البحترى يتفوق على أبى تمام فى كثير من غزلياته ، لأنه كان شاعراً بديع المعانى متدفق العاطفة ، وشعره عامر بالرقة والحلاوة ، استوفى فيه عناصر الجمال الفنى ، لا سيما الموسيقى ، فقد كان الشاعر ذا حس جمالى موسيقى مرهف ؛ لذا توقف النقاد عند ظاهرة الإيقاع الصوتى فى شعره وسموه (صنعة خفية) فى إشارة منهم أن فى شعره من التوافق الموسيقى ، والتآلف الصوتى ما ليس فى شعر غيره ... ولا غرو فى ذلك

---

(١) الموازنة ٥١٢/١ ت/ السيد أحمد صقر ، وينظر أيضاً ٢٣/١ -٣٠٤ – ٥٦٥ .

(٢) السابق ٥١٣/١.

" فقد استطاع البحترى أن يستخرج من القيثارة القديمة للشعر ، كل ما يمكن من مهارة فنية للصوت والموسيقى " (١)

وقد ظهر ذلك بصورة أوضح فى غزلياته ، حتى دعى بـ (شاعر الطيف) لإكثاره من ذكر خيال الحبيب .

ولكنا نختلف مع الآمدى فى حكمه على استهجان ورداءة قول أبى تمام : (لا أنت أنت) ... فقد علل الآمدى حكمه هذا ، بأنه من ألفاظ الحضر ، بخلاف قوله ولا الديار ديار فهو كلام معروف من كلام العرب ، فلهذا حكم عليه بالحسن.

والآمدى فى حكمه هذا يعتمد فى نقده على نظرية عمود الشعر التى يعد هو أول من أشار إليها ، واستوت من بعده على يد الجرجانى والمرزوقى فى شرحه لديوان الحماسة .

نبه الآمدى على طريقة كل من أبى تمام والبحترى فى مفتتح موازنته ، وكانت تدور حول اللفظ والمعنى :

فالبحترى " ما فارق عمود الشعر المعروف وكان يتجنب التعقيد ومستكره الألفاظ ووحشى الكلام ".

وأبو تمام " شديد التكلف ، صاحب صنعة ، ويستكره الألفاظ والمعانى ، وشعره لا يشبه أشعار الأوائل ، ولا على طريقتهم لما فيه من الاستعارات البعيدة ، والمعانى المولدة " (٢).

وبناء على هذه النظرية نال الآمدى من أبى تمام فى كثير من مواضع موازنته مع أنه ليس ثمة فرق بين ما استحسنه الآمدى وبين ما استهجنه من تعبيرى أبى تمام ، وليس ثمة دليل على أن هذا التعبير لم تستعمله العرب وعلى فرض صحته فإن من

---

(١) الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ٨٦ د/ شوقى ضيف ، وينظر : الطائيان بين عبدالقاهر والنقد الحديث رأى ورؤية ، صـ ٤٩ ، ١٧٥ للباحث .

(٢) الموازنة ٥٠٤/١ .

حق الشاعر أن يجدد فى الأساليب شريطة ألا يخالف قواعد اللغة وأصولها ، ولا يخرج عن قواعد البلاغة ورسومها ، وهو ما صنعه أبوتمام فى هذا البيت ....

إذن فما السر وراء استهجان الآمدى لبيت أبى تمام ؟

ثمة اتهام وجه للآمدى بالتعصب للبحترى والميل إليه على حساب أبى تمام ، ومع أننا لا نؤيد هذا الاتجاه // لأن تقديم البحترى على أبى تمام ، لا يدل على تعصب للبحترى ، ولا حيف على أبى تمام ، بل كان الآمدى يؤثر طريقه البحترى فى النظم والتأليف لأنها تحقق مفهوم الشعر عند أهل العلم به ، بخلاف طريقة أبى تمام التى تنأى عن مفهوم الشعر قدر اقترابها من الفلسفة والمنطق .

وقد كان نقده فى معظمه قائم على أسس ومعايير موضوعية ، وتلاقى ذوقه النقدى فى تفضيل البحترى على صاحبه مع ذوق القاضى الجرجانى والباقلانى والشيخ عبدالقاهر ولعل توافق هؤلاء الأعلام الأربعة بمثابة إجماع من أهل التراث النقدى فى هذه المسألة ، لعله يماثل إجماع الأئمة الأربعة فى الفقه الإسلامى – لأنهم – بحق – من أعظم النقاد العرب فى مجال النقد التطبيقى القائم على الذوق والدربة .

وهكذا فالآمدى لم يتعصب للبحترى ولم يتحيف أبا تمام ، وإنما وجه بعض النقدات لسقطاته كما انتقد غيره من عمالقة الشعر العربى كالبحترى نفسه والمتنبى //[١]

أقول : ومع أننا لا نؤيد هذا الاتجاه ، إلا أننا لا نوافق الآمدى فى استهجانه هذا التعبير ، إذ لا سند له على ما ذهب إليه ، كما أنه ليس ثمة فارق بين ما استحسنه وما استهجنه من تعبيرى أبى تمام ، ثم إن هذا التعبير كما سبق وجدناه يحمل دفقة شعورية ، لا يمكن أن يسد غيرها مسده ، بل صار هذا التعبير فيضاً وإلهاماً لغيره من الشعراء .

---

(١) ينظر : هذا الاتهام والرد عليه فى : الطائيان بين عبدالقاهر والنقد الحديث رأى ورؤية ص : ٢٢٤ وما بعدها

من ذلك قول فاروق جويدة :

لكننى

ما عدت أشعر فى ربوعك بالأمان

شئ تكسر بيننا

لا أنت أنت ولا الزمان هو الزمان

والأبيات تعبير حى عن تغير الحبيب والزمان ، مما جعل الشاعر يرى أنه ليس هو الحبيب الذى يعرفه ، ولا ذلك الزمان الذى يألفه ، مع أن عطر المحبوبة ما زال يفوح ، والمكان هو هو لم يتغير .

وقد اقتبس ابن خفاجة الأندلسى هذا الأسلوب من أبى تمام ، وضمنه بيته الأخير ، فى قوله يصف ضياع الأندلس :

عاشت بساحتك الظبى يا دار ومحا محاسنك البلى والنار

فإذا تردد فى جنابك ناظر طال اعتبار فيك واستعبار

أرض تقاذفت النوى بقطينها وتمخضت بخرابها الأقدار

كتبت يد الحدثان فى عرصاتها لا أنت أنت ولا الديار ديار

وهكذا وجدنا هذا الأسلوب يكثر فى مقام النسيب لما يحمله من دفقة شعورية عالية تناسب مقام النسيب ، ولكن نلحظ اطراد مجيئه منفياً سواء تسلط عليه النفى صريحاً ، أو كان نفياً غير مباشر كما فى قوله إذ الناس ناس ، والزمان زمان

ذلك أن المقام مقام شجن ولوعة ، وذكر لأيام الود والوصال ، الذى يوقع الشاعر فى حيرة وتيه ، ينكر فيه أن يكون المكان هو المكان أو الزمان هو الزمان ، أو الحبيب هو الحبيب ، لأن أواصر الوصل قد زالت ، فلم تعد هذه الأشياء كما عهدها الشاعر ، ومن ثم ساغ له أن ينكرها عن طريق تسلط النفى عليها .

ولهذا أيضاً كثر الاستفهام فى هذا السياق وقد أفاد غالباً التدله والحيرة ، والشكوى وغلبة الوجد وهو من الأساليب البيانية التى تضافرت مع اتحاد الطرفين لنقل حنين الشاعر ولوعته .

ومن الشواهد القرآنية التى رأى بعضهم حملها على هذا الأسلوب قوله تعالى :

(إنا نحن نحيى الموتى)يس /١٢

قال الرازى : يحتمل وجهين :

أحدهما : أن يكون مبتدأ وخبراً ، ومثل هذا يقال عند الشهرة العظيمة ، أى إنا نحن معروفون بأوصاف الكمال ، وإذا عرفنا بأنفسنا ، فلا ننكر قدرتنا على إحياء الموتى

وثانيهما : أن يكون الخبر (نحيى) كأنه قال : إنا نحيى الموتى ، ونحن ، يكون تأكيداً

قال الرازى : والأول أولى [١] .

وقوله تعالى (إنك أنت علام الغيوب) المائدة/ ١٠٩

على قراءة نصب علام ، على أن الكلام قد تم عند (إنك أنت) ونصب الوصف على المدح أو النداء أو على أنه بدل من اسم إن [٢].

ومعنى (إنك أنت) إنك الموصوف بصفاتك المعروفة ، وهو المعنى الذى تقتضيه البلاغة .

---

(١) التفسير الكبير ٢٦ /٤٨ .

(٢) الدر المصون ٢ / ٦٢٣ .

الخاتمة

حمداً لله ، وصلاةً وسلاماً على سيدنا رسول الله ... وبعد :

بعد معايشة هذا الأسلوب اللغوى الذى اتحد فيه الطرفان ، ورصد نماذجه من مصادر الاستشهاد ، وتحديد سياقاته الدقيقة التى ورد فيها ....يمكننا الإشارة إلى هذه النقاط التى أسفر عنها البحث :

– أن اتحاد طرفى الجملة يمثل عدولاً عن الأصل لأن الإسناد – فى مفهومه – يقتضى تغاير طرفيه حتى تتأتى الفائدة .

– اتحاد طرفى الجملة – شأن كل صور العدول فى اللغة – يدل على ثراء اللغة وحيويتها ، وشجاعتها ، لذا لابد أن تنطوى تحته دلالات وأسرار بيانية ، ولمحات فنية وجمالية ، وإلا فلا معنى لهذا العدول .

– هذا الأسلوب استعمله الأدباء كثيراً ، لإضفاء المبالغة على صورهم وقد كثر لديهم فى مواقف الانفعال وقوة العاطفة .

– كان لهذا الأسلوب شيوع فى الأدب العربى ، لا سيما فى عصور الصنعة ، وإن كان وروده قليلاً فى القرآن والحديث .

– كان لهذا الأسلوب حضور فى تناول علماء اللغة والبلاغة ، والنقاد والمفسرين ، والمحدثين ، ورأينا كيف كان ترجيحهم لهذا الأسلوب على غيره ، فيما يحتمل أكثر من وجه ... لما يضفيه على الصورة من مبالغة ، وإيجاز .

– رصد البحث أهم السياقات التى ورد فيها هذا الأسلوب ، ووجد أن هذا الأسلوب جاء متناسقاً مع سياقه متلائماً مع خصائص أسلوبية أخرى تعمق هذا الأسلوب وترجحه على غيره .

– رصد البحث خلافاً فى طبيعة هذا الأسلوب حسب السياق الذى ورد فيه ، حيث اطرد مجيئه منفياً فى سياق النسيب وسبقه استفهام – غالباً – قصد منه التدله والحيرة والشكوى وغلبة الوجد .

بينما لم يسبق بأداة نفى فى سياق الفخر ، بل سبق بأداة توكيـــد أو أكثـــر ... وهكذا بقية السياقات كما هو مفصل فى البحث .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

فهرس الموضوعات

- المقدمة
- توطئة :
- حكم اتحاد طرفى الجملة
- العدول عن الأصل
- اتحاد طرفى الجملة بين السياق والدلالة
- فى سياق طلاقة الجزاء
- فى سياق الهجاء والمدح
- فى سياق الفخر
- فى سياق النسيب
- بعض الشواهد التى تحتمل هذا الأسلوب
- الخاتمة
- فهرس المراجع

فهرس المراجع

- أسرار البلاغة – عبدالقاهر الجرجانى – ت / محمود محمد شاكر – الناشر/ مطبعة المدنى – بالقاهرة – ط أولى ١٤١٢ ه – ١٩٩١ م
- أمالى ابن الشجرى – ت د/ محمود محمد الطناحى – مكتبة الخانجى بالقاهرة
- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات فى جميع القــرآن – العكبرى ت إبراهيم عطوة عوض – ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البــابى الحلبى بمصر ط ثانية ١٣٨٩ ه – ١٩٦٩ م
- الإيضاح مع البغية – الخطيب القزوينى – ت عبدالمتعال الصعيدى – مكتبة الآداب
- البحر المحيط : أبو حيان الأندلسى ت / السيخ / عادل عبدالموجود وآخرين – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط أولى ١٤١٣ هــ .
- التحرير والتنوير الشيخ محمد الطاهر بن عاشور – الدار التونسية للنشــر – تونس ١٩٨٤ م
- التفسير الكبير – الفخر الرازى – مكتبة ومطبعة عبدالرحمن محمد
- جامع العلوم والحكم – ابن رجب الحنبلى ت/ محمد عامر – ط دار العقيدة – ط أولى ١٤٢٤ هــ / ٢٠٠٢ م .
- الجامع لأحكام القرآن – القرطبى – مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٧ هــ / ١٩٤٨ م –
- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى – دار صادر بيروت .
- حاشية الصبان – على شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك – ط دار إحيــاء الكتب العربية
- خزانة الأدب – البغدادى – ت / عبدالسلام هارون – مكتبة الخانجى بمصر ١٤٠٠هــ / ١٩٨٦ م .

- الخصائص – ابن جنى – ت محمد على النجار – بدون
- خصائص التراكيب د/ محمد أبو موسى – مطبعة وهبة .
- دلائل الإعجاز – عبدالقاهر الجرجانى ت– محمود محمد شاكر – مطبعة المدنى القاهرة – ثالث ١٤١٣هـ –١٩٩٣ م .
- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين – ابن علان المكى – ت / محمد حامد الفقى بدون
- ديوان (لزومياتك الجديدة) للشاعر / محمود عبدالعاطى ، جمع ودراسة د/ مها محمد زكى . بدون .
- روح البيان – الشيخ إسماعيل حقى – دار إحياء التراث العربى – بيروت – لبنان – ط سابقة ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م .
- شرح ابن هشام على قصيدة بانت سعاد – مطبعة الحلبى – الطبعة الثالثة ١٣٧٧هـ / ١٩٧٧م .
- شرح ديوان الحماسة – المرزوقى – نشره / أحمد أمين ، عبدالسلام هارون – دار الجبل – بيروت – طبعة أولى ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م .
- صحيح البخارى – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء كتب الدعوة الإسلامية العالمية – طبعة أولى ٢٠١٠ م
- الطائيان بين عبدالقاهر والنقد الحديث رأى ورؤية – رفعت على محمد – ط جمعية الدعوة الإسلامية العالمية – ط أولى ٢٠١٠ م .
- عمدة القارئ شرح صحيح البخارى – بدر الدين العينى – مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر طبعة أولى ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .
- الفن ومذاهبه فى الشعر العربى – د/ شوقى ضيف دار المعارف – القاهرة
- الكامل فى اللغة والدب – المبرد – مكتبة المعارف – بيروت
- لسان العرب – ابن منظور – ت / عبدالله الكبير وآخرون – دار المعارف

- المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر – ابن الأثيـــر – د/ أحمـــد الحـــوفى وآخرون – مكتبة نهضة مصر ومطبعتها – طبعة أولى ١٣٧٩هـــ – ١٩٥٦م.
- المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز – ابن عطية الأندلسى – مكتبة ابن تيميه –القاهرة ١٤١٣ هـــ – ١٩٩٢م ؟
- مراجعات فى الدرس البلاغى – د / محمد أبو موسى – مكتبة وهبة
- الموازنة بين شعر أبى تمام والبحترى للآمدى – ت / السيد أحمد صقر – ط رابعة – دار المعارف .
- همع الهوامع شرح جمع الجوامع فى علم العربية – السيوطى – ط / محمـــد أمين الخانجى الكتبى – أولى ١٣٢٧ هـــ .